الفصل السادس

الشخصية المعاصرة فى دراما التليفزيون المصرى

مقدمة:

ليست الدراما التليفزيونية وسيلة من وسائل التسلية فقط ولكنها وسيلة مهمة من وسائل بناء الأخلاقيات والقيم وأساليب السلوك.

ولعل عملية التوحد التى تجعل الأفراد يضعون أنفسهم عقلياً داخل الحالة الخاصة بالشخصيات الدرامية تسهم فى فهمنا لدور الدراما.

والتليفزيون من خلال شخصياته الدرامية يمكن أن يؤثر فى مسيرة شخصيات المجتمع المعاصر إلى حد كبير.

ومن خلال هذا الفصل نتعرض بالتحليل للشخصيات الدرامية المؤثرة فى عدد من المسلسلات التليفزيونية.

مسلسل : أم كلثوم

أم كلثوم شخصية مصرية متفردة: عاشت بين دورب القرى تجولت فى معظم مراكز ومدن وجه بحرى، تغنى وهى صبية مع والدها وأخيها.

أم كلثوم: كوكب الشرق يشكل تقديمها دراميأً تحدياً كبيراً لكاتب الدراما لأنها شخصية عايشها المصريون وكونوا لها صورة فى القلوب يصعب تقليدها، امتزجت بمشاعرهم، اختلطت بوجدانهم، دخلت بيوتهم وعاشت أدق خصائصهم، إلا أن محفوظ عبدالرحمن ككاتب وإنعام محمد على كمخرجة استطاعا أن يجعلانا نعايش دراميأً حياة: أم كلثوم إبراهيم البلتاجى: تلك الطفلة الصغيرة التى تميزت بالذكاء وخفة الظل، تلهو مع أترابها بطماى الزهايرة تدخل الكُتاب، تجيد الحفظ، تردد تواشيح والدها وابتهالاته.

ومنذ أن بدأت الطفلة تكبر ومنذ ان أدرك والدها موهبتها لاحظنا نمو اعتزازها بنفسها .... ذلك الاعتزاز بالنفس الذى اتضح انه سمة قوية من سمات شخصية والدها أيضا.

الاعتزاز بالنفس عند المصريين يعنى ألا تدنى فى طلبك إلى حد المذلة فلا رازق إلا الله، ويعنى أيضا ان تحاول الاكتفاء بما لديك ولا تلح فى طلب ما ليس عندك، فالاعتزاز بالنفس عند المصريين يرتبط بإيمانهم بعطاء الله وبقناعتهم وادراكهم لعوامل القوة والضعف بداخلهم.

وإلى جانب اعتزاز الشيخ إبراهيم البلتاجى بنفسه فهو ايضا يملك الاصرار والتصميم فلا يرضى ان يقدم الفن الرخيص، ويصر على أشياء صغيرة فى تعاملاته، مع متعهدى الحفلات، تجعل له مكانة خاصة، وهذا الاصرار والتصميم يتضح فيما بعد وضوحاً بالغاً فى شخصية أم كلثوم.

ولأن الشيخ إبراهيم البلتاجى يؤمن بالتطور فهو يوافق على أمور ربما لا يوافق عليها غيره فى ظروفه وعصره: يعمل فى البداية على تقديم تواشيح جديدة باستمرار، يوافق على ان تغنى ابنته ثم يوافق على ان تغنى أغنيات غير دينية، ثم يوافق على ان يصحبها تخت موسيقى.

لذا و نحن نتتبع شخصية أم كلثوم الدرامية نوقن انه لولا هذا الأب بعقليته الواعية وفكره المتطور ونظرته المستقبلية ورؤيته الواضحة لموهبة ابنته، وسعيه لتنميتها لما استطاعت أم كلثوم إبراهيم ان تكون فى يوم من الأيام كوكب الشرق وسيدة الغناء العربى.

وفى شخصية الأب نلمس التراث المصرى فى تواصل الأجيال الذى يرى أنه لا يوجد إنسان يريده الفرد أفضل منه إلا ابنه، فيجد الشيخ إبراهيم فى أم كلثوم تحقيقاً لأمنياته التى لم ينعم بها الدهر، استجابة لرغباته فى السعى نحو القمة.

ورغبة الأب فى توصيل صوت ابنته العبقرى إلى عالم متسع رحب، يجعله يترك عالمه الصغير فى القرية حيث الأهل والمعارف والأصدقاء إلى القاهرة رغم ما يشكله انتقال أسرة ريفية إلى المدينة من صعوبات وعبء نفسى على رجل يرتاد مع ابنته المجهول، إلا أن هذه الهجرة مهد لها كثير من المعارف الذين حثوا الشيخ على تقديم موهبته ابنته إلى دنيا الفن بالقاهرة.

وفى القاهرة كان الشيخ مع ابنته فى كل خطوة، وقد حرصت هى ايضا على ان يظل أبوها معها لتشعر مجتمع القاهرة انها لا تواجهه وحدها بلا رجال.

ومع تزايد شهرة أم كلثوم يشعر الأب بالاطمئنان على ابنته، فقد عرفت طريقها، زادت ثقتها فى امكانياتها وقدراتها، أصبحت قادرة على اتخاذ قراراتها وتحمل مسئولياتها لذا جاء قراره بالعودة إلى القرية حيث المقر الآمن والسكن الدائم.

أما الأم فمن أهم سماتها الحنو والترفق بالصغار وهى ايضا مثل زوجها تؤمن بالتطور، تدرك قيمة العلم والا فيما اصرارها على ان تدخل ابنتها الكتاب وتتعلم، هذا الاصرار يأتى من سيدة ريفية تعيش فى بدايات القرن العشرين حيث لا تعليم للفتيات ولا سعى لاكتسابهن معرفة إلا معارف شئون البيت.

وهذه الشخصية شخصية محورية حتى ولـو لم تكن المساحة المعطاة لها كبيرة إلا أنها مساحـة وافية تجعلنا ندرك حجم تـأثير هذه السيدة التى تعـرف دورها جيداً إلى جانب زوجها، تعرف قدره، وتـواسيه تشجعه، تهون عليه مشوار حـياتهما الصعب، تلازمـه فى هجـرته إلى الـقاهرة وتـلازمه حين العـودة إلى القـرية قائـلة: «أنا ضـلع زوجى».

ويجسد لنـا المسلسل قدر الترابط والـتماسك بين أسرة أم كلثـوم كنموذج لأسرة مصرية يحرص كل فرد منها على الآخـر، يتضح هذا الحرص فى الموقف الشهير لأم كلثوم الطفـلة التى تسمع والديها يـتهامسان ويتشاوران فى أمور الأسـرة مع قلة المال والعجز عن تلـبية احتياجات الأبناء فما يـكون منها إلا أن تخبر والدتها بـرغبتها فى عدم الذهاب لـلكتاب حتى تـوفر القرش الذى يدفـع للعريف وتدرك الأم ان ابـنتها الطفلة استمعت لحديث الليل فتأخذها بها الشفقة والحنو.

يتـضح التـرابط فى ذلك المـشوار اليـومى الذى يـتعاون فـيه أخوها وقـريبهـا فى حملها: وان كان تخفيف عبء المشوار علـى أم كلثوم يرسم لنا صورة الود والتعاون والألفة بـين رفقاء الطريـق إلا ان أم كلثوم تتـذكره كجزء مـن لهو خفف مـن ضغط الإرهاق والأيام الصعبة.

يتضـح الترابط فـى اهتمام أم كـلثوم بأخـيها «خالـد» وحرصها عـلى مصلـحته، ورغبتها الدائـمة فى ان يظل أخوها السند الـدائم لها مع الأب وهو ما يجعلـنا نفهم سر الاكتئاب الذى أصاب أم كلثوم بعد وفاة أخيها.

وإذا كانت الصلابة سمـة أساسية من سمات شخصية أم كلـثوم فإن هذه الصلابة لا تأتى من فراغ، فمـنذ الطفولة عرفت أم كلثـوم معنى المسئولية، معـنى الاختيار بين الخطأ والصواب، معنى القدرة على تفهم الأمور واستجلاء المواقف.

أم كلثوم لا تقف رغبـتها فى الإجادة والتعلم والتطور عند حـد فهاهى تجيد قراءة الشعر قديمه وحديثه: تتوقف عند معانيـه فمن لا يفهم المعنى كيف تكون لديه القدرة على توصيله، تجلس مع الأدباء وتصغى لأحاديثهم، تعلم نفسها وتستعين بمن يعلمها

تحاول ان تتعلم الإنجليزية وبعض الفرنسية، تستعين ايضا بكل ملحن ومؤلف شاب يمكن ان يطور أداءها ويزيد من اتساع قاعدة جمهورها.

وإذا أردنا أن نلخص أهم السمات الايجابية فى الشخصية المصرية التى تدفع بالمجتمع إلى التقدم فسنسلمها فيما سبق: **الاصرار، الرغبة فى التعلم والتطور**، والسعى نحو الاجادة والاتقان.

والحرص على التطور هو ما ساهم فى جعل أم كلثوم تجلس على عرش الغناء المصرى ما يزيد على نصف قرن، فلم تركن إلى الجمود ولم تخلد إلى الراحة والاسترخاء رغم ما وصلت إليه من مكانة.

ويوضح لنا المسلسل مدى الصلة التى ربطت بينها وبين من حولها من مؤلفين وملحنين بداية من الشيخ أبو العلا محمد، ود. صبرى النجريدى، محمد القصبجى، أحمد رامى، زكريا أحمد، بيرم التونسى، السنباطى، محمد عبدالوهاب.

ومن خلال هذه الصلات نلمس عاملين:

- ان أم كلثوم كانت شخصية ذات ارادة قوية حرصت على ان تفصل دائماً بين عملها وحياتها الشخصية رغم ما فى ذلك من صعوبة على الفنان، إلا أنها استطاعت ان تكتسب احترام الآخرين لكيانها وذاتها.
- أهمية المحيط الاجتماعى الذى يعيش فيه الفرد فى صقل خبراته وتجاربه فمع التكوين الفنى الصحيح لأم كلثوم، ومع موهبتها الصادقة، استطاع من حولها ان يساهموا فى صقل تجاربها واستطاعت هى بقدرتها على حسن الاختيار ان تنتقل من تقدم إلى آخر.

وقد حرص المسلسل أيضا على ان يجد لنا سمة العطاء والعرفان بالجميل فى شخصية أم كلثوم: فكما ساندت العديدُ من الشخصيات أم كلثوم، فهى لا تنسى ان تقف بجوار من يحتاج إلى مساندتها.. فعندما تعلم ان الاقتصادى الكبير طلعت حرب يمر بأزمة مالية تسارع لتسانده بلا قيد أو شرط.

أم كلثوم أيضا تدرك حاجة الموسيقيين إلى نقابة تجمعهم، تدافع عن حقوقهم،

تسهم فى كفالة حياة كريمة لهم إذا انقطعت أسباب الرزق فكان دورها المهم فى إنشاء النقابة ودعمها.

وفى أوقات الأزمات يتكاتف المصريون، يرفضون الانكسار، يقاومون اليأس ويتمسكون بوسائل المقاومة وقد كانت نكسة ١٩٦٧ محنة كبرى واجهها المصريون ورفضوا ان تكون هزيمة لإرادة شعب، وقد جاء عطاء أم كلثوم ومسئوليتها كمواطنة مصرية أولاً تحب وطنها ويسرى الانتماء لترابه فى كيانها، وكرمز من رموز هذا الشعب يجب الا ينكسر ويضعف، فيأتى دورها فى الاسهام بجمع الأموال للمجهود الحربى كدور غير مسبوق لفنان.

وقد حرص مسلسل أم كلثوم كسيرة ذاتية لشخصية شهيرة ان يقدم بصورة عميقة وشاملة الجوانب الإيجابية فى تلك الشخصية ونحن هنا نوافقه على ضرورة تقديم تلك الصورة الناصعة للرموز فمن خلالها تأتى القدوة، ومن خلالها نوثق لمراحل مهمة فى حياة الشعب المصرى، ورغم هذا فقد أشار المسلسل إلى بعض السمات السلبية فى شخصية أم كلثوم كالحرص مثلا: وهل هو تدبير وادخار أم بخل وأوضح ان ظروف الحياة التى جعلت الطفلة/ أم كلثوم تقبض على عشرة قروش فضة فى يدها لكى تعطيها لأمها، تعلمت قيمة المال فى حياة الإنسان فحرصت على الا تنفقه إلا فيما ينفع، وحرصت على ألا يخدعها الآخرون ويستنزفون أموالها.

أم كلثوم من الأعمال الدرامية التى تبرز فيها شخصية رئيسية كمحور للعمل كله، وتأتى أهمية باقى الشخصيات من خلال تعاملها وتأثيرها فى حياة تلك الشخصية.

وقد أسهم المسلسل فى توثيق مسيرة حياة أم كلثوم، فى تجسيد عناصر تلك الشخصية المصرية التى عاشت وما زالت تعيش أيام المصريين تثرى وجدانهم، وتسمو بمشاعرهم.

❑❑❑

مسلسل: أرابيسك

شخصية شديدة المصرية: مرتبطة بالقاهرة القديمة: عاشقة لفن الأرابيسك مما يعكس عشقها للأصالة والجذور.

«حسن»تعلم فن الأرابيسك فى ورشة أبيه: اتقن عنه الصنعة وأجادها وابتكر من خلالها كما يحدث مع الصبية فى عديد من ورش الحرف التقليدية، ولكنه اختلف عن كل الصبية فى ابداعه وتفرده فقد صارت بينه وبين قطع الخشب علاقة ود ومحبة حتى إذا تحولت إلى قطعة فن بين يديه أصبحت جزءاً من كيانه، لذا فهو لا يفرط فيها إلا لمن يستحقها. فالصنعة عنده ليست فقط وسيلة لكسب الرزق ولكنها وسيلة للإبداع وتأكيد الذات وإثبات التفرد والتميز المصرى.

يجسد لنا «حسن أرابيسك» ابن الحارة المصرية فى أواخر القرن العشرين الذى يعانى من بعض الإحباطات التى تصادفها الشخصية المصرية. إحساس بالغربة أحيانا وعدم قدرة على التواصل مع الآخرين، محاولة لفهم الذات أحيانا تخطىء وأحياناً تصيب.

تتجلى أقسى لحظات احباطه عندما يسيطر المال على بعض من حوله ويفقد استقراره وتزهده زوجته لتطمع فى رجل آخر يتحدث بلغة المال فيجذبها رنين ذهبه ويتغرب ابنه الوحيد، عندما يفيق حسن من صدمته يدرك ان استعادة ابنه هى أهم معركة فى حياته، فى البداية يتحير الفتى الصغير بين أمه التى تعيش فى رفاهية ويسر وبين أبيه الذى يحاول أن يجعله يعيش بين أهله، ويصبح وجود الصغير فى كنف أبيه التغيير الأكبر الذى يجعله يستعيد نفسه ويستعيد معنى الترابط والتواصل وعشق الجذور.

ويقدم لنا «حسن أرابيسك» من خلال ارتباطه بعائلته سمة أصيلة من سمات الشخصية المصرية.. ففى ظل الأسرة يجد المصرى الآمان والسكينة والأمل، تجسد

جدران البيت الحماية من احباطات الخارج وصراعاته وأطماعه وشروره ومع هذا فالمصرى بارتباطه بعائلته ليس منعزلاً.. فهو يلقى بنفسه فى خضم الحياة يتفاعل معها وينصهر بحرارتها ويخرج من آتونها أكثر صلابة وقوة.

تبدو علاقة أرابيسك بأمه فى اطار فريد.. فهى على الرغم من عدم رضاها عن بعض أحواله إلا أنها تشفق عليه، ومع تنبيهاتها الموجعة إلا أنها لا تنسى ولا تجعل أفراد العائلة ينسون انه الابن الأكبر صاحب الرأى الأول المسئول عن الحمل الثقيل بعد وفاة رب الأسرة.

ويحب أرابيسك أخته إلا أنه لا يرضى عن طمع زوجها وانقيادها له، ويرتبط بأخيه الأصغر إلا أنه لا يرضى عن رغبته فى الابتعاد وفك أواصر شركة الورشة وترك الحارة إلى المجهول.

وتشتد صراعات حسن: صراعه الداخلى مع مشاعره: يبحث عن حب صادق يعوض به عمره الضائع بلا استقرار، يتلمس الصدق والبراءة والوضوح فى «أنوار» ابنة الجيران فيتغاضى عن سنوات العمر الفاصلة بينهما ويتجه بقلبه إليها إلا أنه يكتشف أن ما بينهما لن يكتب له النجاح فهى تخاف عليه كأخ عزيز، هو بالنسبة لها رمز الشهامة والحماية إلا أنه لم يكن الحبيب... فمشاعرها الحقيقة كانت مع أخيه.

و«أنوار» فتاة مصرية تحلم بالبيت والاستقرار: تتحمل مسئوليات الأعباء الملقاة على كاهلها بصبر وصمت. تعمل كموظفة بأجر بسيط تساهم به فى نفقات المنزل الذى يضمها هى وأباها... تعيش صراعاً حاداً عندما يعود زوج أختها المتوفاة من أمريكا مع ابنته الوحيدة التى تتعلق بخالتها ولا تريد أن تفارقها، ويرى ان الحل هو زواجه من أنوار، ورغم ان أنوار تعرف أن أختها تعذبت فى حياتها مع هذا الزوج إلا أنها تضحى من أجل «ضحى» الأبنة الصغيرة الغالية، وعندما تتضح الرؤية أمامها وتواجه زوج أختها بأنانيته وقسوته، تقرر أن تعيش مع والدها وان تظل معها ابنة أختها وتقرر أن تستقر فى بلدها وتعود لنفسها.. لحبها ـ من فرقت الأيام بينها وبينه.

أما د. برهان فهو عالم مصرى عائد من الخارج تدبر الموساد مؤامرة لاغتياله، فيلجأ لحسن يختبىء بين أهل الحارة ويعيش مع «والد أنوار» حيث يتعرف على واقع

الحياة المصرية بعد سنوات من الغربة.. ويرتبط بمعدن الناس البسطاء الذى يحبونه ويحبهم.. زوجته الدكتورة عادت لتبهرها الأصالة المصرية تريد منزلها عامراً بالتحف الأصيلة والمشربيات تجمع كلمات العامية المصرية فى قاموس.. ومع مرور الوقت تكتشف أن الحياة المصرية ليست هى المشربية وكلمات العامية.. وانما الحياة المصرية سلوك ووجدان وجوهر أعمق من مظهريات الشكل.

يعمل حسن على تغيير ديكورات فيلا د. برهان ولا تجدى محاولات التجديد.. وتنهار أسقف الفيلا ربما لتنذرنا بأننا نحتاج فى حياتنا الحديثة إلى بناء من نوع جديد.. بناء متين فى أساسه، متعمق فى جذوره، مدرك لحقيقته، واع لمجتمعه، دارس لظروف وأحوال ناسه.

وفى اطار شخصيتنا المحورية: حسن أرابيسك تظهر مجموعة من الشخصيات المرتبطة به: شخصيات رئيسية فاعلة تتفاعل مع الشخصية المحورية، تدعم وجودها وتثرى الحبكة وتكثف الصراع:

شخصية توحيدة: تاجرة الانتيكات التى ورثت المحل عن زوجها، تقف فى السوق بمفردها: يتهافت عليها الطامعون فى مالها وجمالها، تستخدم فطرتها وقدرتها على التعامل وحدتها وعصبيتها، فى بعض الأحيان لابعاد الطامعين.

لا تنسى «توحيدة» «لحسن» انه ساندها وساعدها قبل ان تتزوج وكانت بلا سند وحيدة فقيرة: تعرف جوهره تلاحقه بحبها، ويتهرب منها. تظل بما بها من صراحة بنت البلد وطيبتها وجرأتها تلاحقه فهى تعرف أنهما وجهان لعملة واحدة، وكان أقسى ما صادفته «توحيدة» ذلك الموقف الذى اعترف فيه لها بأنه يحتاج لصديق يتحدث معه: يروى له آلامه وأشجانه ومكنونات قلبه، ويخبرها أنه يحب «أنوار» وانه أراد أن يلجأ إليها كصديق قادر على فهم مشاعره يشعر حسن أنه أخطأ فى حق توحيدة وسبب لها ألاما كثيرة وجراحاً وراء جراح إلا انه يدرك فى النهاية أن طريقهما واحد.

وتساند توحيدة «حسن» فى مواجهة مافيا الآثار والاتجار بها حيث ينجح «عتوقة» تاجر الانتيكات فى سرق كرسى أثرى من «والد أنوار» ويعمل على تهريبه وبيعه للخارج: تتحايل توحيدة على عتوقة وتتظاهر بموافقتها على الزواج منه: ويطمع هو

فى ضم المحلين والاستيلاء على ما لديها، ويرغب فى اظهار حسن نواياه فيكشف لها عن انه تاجر كبير فى بيع الآثار والاتجار بها، وبعد القبض على عتوقة يعود الكرسى الأثرى لمكانه المتوقع والطبيعى: إلى المتحف.

أما عمارة وعدولة: فهما من شخصيات الحى اللذان يجسدان نموذجاً للصبر المصرى والقدرة على تحمل المسئولية.

عدولة هى الأخت الكبرى لابنتين بلا عائل.... هى رب الأسرة بعد وفاة الأب والأم، هى المسئولة عن تربية البنات، تجلس لماكينة الخياطة تحيك أثواب العرس حتى ولت أيام عرسها وغادرها سن الزواج، ويهون عليها متاعبها. الأسطى عمارة التى ارتبطت بخطوبته منذ سنوات طويلة ينتظرها على أمل أن يتحقق الحلم.. عاش سنوات ضيق اليد وأزمات الاحتياج وينتظر ان يجمعهما سقف واحد.

عمارة: رفيق حسن فى الورشة ورئيس الصنايعية يدير العمل فى الورشة باقتدار، يراعى عماله الصغير والكبير: يوجههم ويعلمهم ويوضح مع تعاليمه دور القيم التى يجب أن ينشأوا عليها... لذا عندما تشتكى أم أحد صبيانه أنه تجرأ عليها وعلى والده يؤدبه بقسوة ويطرده من العمل لفترة موضحاً دور الراعى فى التوجيه والحماية. عمارة شخصية منتجة: يؤدى واجباته يراعى الأصول، يقدر دور عدوله فى تربية أخواتها لكن عندما يطول الأمر: يحسم ويقرر حتى بعد انهيار بيتها فى الزلزال وتكاتف الجميع معها: أنهما لابد لهما ان يتزوجا ويحمل معها مسئولية مواجهة الأيام.

فريال أخت عدولة: بنت من بنات الجيل الجديد: تطمع إلى حيازة كل شىء وبسرعة: تشعر ان الجذور تكبلها، تعوق انطلاقاتها، تترك عملها كمعيدة فى الجامعة بحثاً وراء الأكثر: تعمل كموديل فى الإعلانات: تحلم أن تصبح نجمة: إلا أنها تدرك بعد ما خاضت التجربة أن ثمنها غال، وان الطريق الذى تركته وتخلت فيه عن الحى والحارة والمكان الضيق كان أصعب وأطول ولكنه الأفضل والأسلم والذى يؤدى إلى النجاح والاستقرار.

لا يكتب لتجربة فريال مع «حسنى» أخو حسن النجاح: لطموحها الزائد ونفورها من الحى وعدم استقرار مشاعرها، «حسنى» يشترك معها فى نفس البداية حيث

يهرب من المكان ويشعر بقيد الجذور والورشة والعائلة يطمح إلى أن يحقق حلمه منفرداً بعيداً، يريد ان يجرب تحقيق النجاح بعيداً عن حسن الأخ الأكبر، إلا أنه هو الآخر بعد التجربة يعرف أن الجذور لا تشكل عقبة وان البداية الصحيحة من وسط أهله... من مكانه الأصلي: من ورشة الأرابيسك.

أما مصطفى بطاطا: «المحامى»: شخصية شديدة البساطة وشديدة الانبساطية: يعيش وحيداً في غرفة هى مكتبه وسكنه يدافع عن الفقراء والمطحونين والغلابة، لا يتوانى عن مناصرة الضعيف، وتتعجب كيف يمكن لمن يفند الأسانيد القانونية ويرتب الحجج أن يكون بهذا القدر من عدم النظام وهو يعرف أن بساطته الشديدة مع اهماله لمظهره سبباً فى استهانة الكثيرين به. ولكنه نموذج للمصرى البسيط: لا يدقق فى الأجر ويسعى وراء الحق، وقد قوبلت هذه الشخصية باعتراضات حين عرض المسلسل فكيف يمثل بطاطا: المحامى: نصير الحق: كيف يكون صورة تعبر عن المحامين، إلا أننا حينما نتعرف على هذه الشخصية عن قرب نجد انه لا يمثل فئة معينة، أو مهنة بقدر ما يمثل نموذجاً للشخصية البسيطة الانبساطية التى تحب الناس وتعمل من أجلهم: منفتحة على الغير، من عيوبها: التساهل والإهمال إلا أن من أهمها مميزاتها: العطاء.

يتمسك مصطفى بطاطا بجارته يسرية التى كانت تعمل «لبيسة» ويستعن بها على ترتيب حياته، وتنجح إلى حد ما فى تطوير نظام حياته إلى الأفضل.

يناصر مصطفى بطاطا حسن فى كل أموره القانونية: مع مطلقته، وفى شئون إدارة الورشة، فى عقوده الكبيرة مع العملاء ورغم اختلافهما فى الأمور المادية إلا أن طابع الرضا ورابطته بحسن تغلبه.

وهكذا يشدنا مسلسل أرابيسك إلى عالم الأصالة والجذور حتى أنك إذا ما تجولت فى خان الخليلى، أو فى النحاسين، وتحت الربع. بوابة المتولى وغيرها من أحيائنا القديمة ربما تتعرف على ملامح حسن أرابيسك.. ستعشق المكان وتحب ناسه وتعود إليهم محملاً بأعبائك التى تغادرك فور أن تسير بينهم وتحادثهم حديث الأخوة والصداقة.

❑❑❑

ضمير أبلة حكمت

شخصية يحركها الضمير فى المقام الأول: شخصية يقظة تدرك مسئولياتها، تتحمل تبعات قراراتها التى تصدر متوافقة مع هذا الضمير، ومتوافقة أيضا مع القيم والمثاليات والأعراف.

اختار لنا المؤلف: أسامة أنور عكاشة شخصية تعمل بمهنة من أشرف المهن: التدريس، تدرجت فى عملها إلى أن تولت مسئولية إدارة مدرسة ثانوية للبنات، ومن خلال موقعها تتصدى للعديد من المشكلات التى تواجه المجتمع المصرى المعاصر وهى:

ـ مشكلات الطلاب.

ـ مشكلات هيئة التدريس:

ـ مشكلات شخصية تواجهها أبلة حكمت تتعلق بحياتها الخاصة وإخوتها وجيرانها.

بالنسبة لمشكلات الطلاب: فلأن أبلة حكمت مسئولة عن تعليم وتربية جيل سيحمل أمانة المستقبل تصادفها مشكلات البنات وأخلاقياتهن التى تعكس أخلاقيات الأسرة وأساليبها فى التربية، فمنهن المترفه المدللة التى لا يرفض والدها أى طلب لها، فهو التاجر الواسع الثراء الذى يعطى ابنته المال بلا حدود ويجعلها تتصور أنها تستطيع أن تشترى كل شىء وان تأخذ كل ما تتطلع إليه عيناها وضحية هذه الفتاة: فتاة فقيرة ليس لها ما يعصمها من بطش الفتاة الثرية إلا ضمير أبلة حكمت الذى يناصر المظلوم ويسعى لجلب الحق ويكشف افتراء الفتاة الثرية التى دبرت حيلة لزميلتها لتبدو أنها سرقت حليتها الذهبية، وتكون عاقبة الفتاة المدللة التى أفسدها المال السائب وعدم التربية الفصل النهائى مما يخلق ذعراً شديداً لدى والدها فيحاول

بكل الطرق غير الشريفة ان يجعل حكمت تعدل عن قرارها إلا أن هذا التحدى تصمد فيه مديرة المدرسة مؤكدة أن الأخلاق هى أساس عملية التعلم. وأننا إذا لم نستطع أن نقوم العضو الفاسد فلا مفرمن ابعاده حتى يظل الجسم سليماً خاصة وان المقعد الدراسى المجانى الذى تحظى به الفتاة المدللة أحق به فتاة أخرى تسعى من أجل العلم ولا تجد سنداً لها إلا أخلاقها وعلمها، خاصة ايضا انها حاولت ان تصلح مما أفسده الأب الثرى إلا أن تأثير مفاهيم الأب المفسدة كان أقوى.

تواجه أبلة حكمت أيضا مشكلة الطالبة التى تعانى من الخلافات الحادة بين أبويها مما يجعلها تهرب من واقعها إلى عالم الخيال. إلى الورق لتسطر عليه رسائلها إلى فارس أحلامها، لتكتب قصصاً وتتخيل عالماً خالياً من الخلافات والصراعات والكراهية، وعندما تدرك حكمت حقيقة مشكلة الطالبة تتعهدها بالرعاية حتى يتحول هروبها إلى موهبتها إلى عنصر إيجابى يسهم فى خروج الفتاة من أزمتها وهى هنا أيضا تقرر حقيقة نراها كثيراً فى مدارسنا أن الموهبة إذا لم تجد من يقتنع بها ويتعهدها بالرعاية سيقضى عليها وتنتهى وقد تتحول إلى أزمة يعانى منها صاحبها.

تواجه أبلة حكمت أيضا مشكلة الدروس الخصوصية وكيف يمكن أن تسهم المجموعات المجانية من مجموعة من المدرسين المتطوعين فى حلها. ورغم أن مجموعات المتطوعين لم يكتب لها الاستمرار إلا أنها تجربة أثبتت نجاحها رغم مثاليتها وأكدت على أن العطاء والمنح صفتان مهمتان لمن يعمل بتلك المهنة: التدريس، ومع هذا ونحن نطالب هذا المدرس بالعطاء يجب أن نراعى ظروفه وأن نعمل على اصلاح أحواله حتى يستطيع ان يقوم بمهمته على أكمل وجه وهنا نأتى لمشكلات هيئة التدريس والتى يقرر المسلسل فيها مبدأ واضحاً: يجب أن نحسن اختيار واعداد وتأهيل المدرس وأن نصلح أحواله قبل ان نطلب منه العطاء الكامل لتلاميذه فى الفصول.

من مشكلات هيئة التدريس: مشكلة «ميرفت» التى نشأت فى ظل ظروف أسرية مفككة وعانت من زواج فاشل ظلت آثاره واضحة على حياتها حيث يطاردها الزوج السابق بافتراءاته، وتتحمل مسئولية ابنتها الوحيدة ولا تستطيع أن تواجه من حولها من كثرة حزنها وانطوائها لذا فهى غير قادرة على العطاء الكامل لطلابها،

تشعر بفقدان الثقة فى النفس والآخرين، ورغم مساندة بعض زملائها لها ورغم وضوح ارتباط أحد الزملاء بها إلا أنها تشعر بالعجز: العجز عن الحب والعطاء، العجز عن أن تحيا حياة متكاملة سعيدة فتقرر الابتعاد والسفر حتى تعاودها ثقتها بنفسها، حتى تستطيع أن تحل مشاكلها المعلقة وتتمكن من العودة لتلاميذها.

أما «هيا» مدرسة الرسم التى تتمتع بحس فنى عال، وبتوازن نفسى ينعكس فى صراحتها ووضوحها فقد ارتبطت بزميل لها.. وقبل أن تواصل مسيرتها معه اكتشفت كذبه وأنه متزوج ويدعى الثراء، وقد صدق المسكين نفسه حتى وصل به الكذب إلى مرحلة المرض النفسى.

«فشريف» يعانى حالة من الصراع الداخلى والتناقض الشديد لا يستطيع أن يواجه نفسه ومجتمعه بحقيقة أنه إنسان فقير ابن فلاح بسيط وانه متزوج من ابنة عمه ولديه أبناء منها، يضيق واقعه إلى حد نكرانه فيقع فى أزمة نفسية حادة.

ومن خلال المسلسل نلمس ما تعانيه المرأة فى واقعنا المعاصر عندما تبحث عن صدق المشاعر وعمق التجاوب فيخذلها من تحب وتتعرض لنوعٍ قاسٍ من أنواع الاستغلال: الاستغلال العاطفى حيث يستغل من حولها مشاعرها: تعطى عن طيب خاطر وعندما تبحث عن المساندة تجد ان الاحباط والوحدة والانزواء هو نتيجة هذا البحث.

فنصادف من خلال المسلسل شخصيتين يمثلان الحقد والكراهية والرغبة فى تدمير الآخرين، ويبحث معنا عن أسباب ما بهما من غل وكره فسنجد أنه انعكاس لشعور بذات مهدرة وكيان سلب حقوقه.

«فزاهية» وكيلة المدرسة التى تقف موقف الرافض الكاره لكل ما تقوم به أبلة حكمت وترغب فى أن تحتل مكانتها كمديرة للمدرسة وتخلق لنفسها جبهة ضعيفة من المدرسين والمدرسات، تشعر بالحقد والاضطهاد والغيرة. ورغم صلابتها الظاهرة فإنها تخفى نفساً معذبة عانت طويلاً من ظروف الحياة، من غدر زوج بعد عشرة طويلة، من مسئولية أربعة أبناء تتحمل مسئوليتهم بمفردها، يتكون داخلها إحساس

بالتمرد وعدم الرضا واحتقار لهؤلاء الذين منحوا كل شيء ولم يتحملوا ما تحملت من عذاب وقهر.

أما «رجاوات» فداخلها شعور بأنها مرفوضة من زوجها وأنه لا يحبها وقد تزوجها بعد ان رفضته أختها، فنجدها تتبع أسرار الآخرين وتخلق المتاعب لهما مما يعطيها شعوراً بالراحة والانتقام، ويحاول المسلسل ان يجعلنا نتوقف أمام بعض الشخصيات غير السوية فى مجتمعنا ليوضح أنها تعانى من أزمات نفسية وأن أسلوب الحياة المعاصر الذى يندر فيه التواصل ويتعامل فيه البشر مع بعضهم على أنهم أدوات لتنفيذ الأعمال وتحقيق الرغبات يفرغ الإنسان من مشاعره.

ولعل من مميزات أبلة حكمت الإنسانية أنها تحاول أن تساعد من حولها، تنفذ إلى أعماقهم، تتواصل معهم، تأخذ بأيديهم، تدرك تماماً أنها تتعامل مع نفوس بشرية تتصارع بداخلها عوامل الخير والشر.

وقد ساندت حكمت: تقى، تلك الفتاة التى تعمل باجتهاد وتؤمن بدورها كقدوة لتلاميذاتها، وهى تتطلع إلى اكمال دراستها العليا كما تتطلع إلى أن تكمل مشوار حياتها مع «بهاء» جارها الذى لا يدرك مشاعرها والذى يعمل معها بنفس المدرسة، وتنتظر «تقى» إلى أن يستطيع بهاء أن يختار طريقه بعد أن مر بحالة من الحيرة وعدم الاستقرار. وتعزز أبلة حكمت طلبهما فى منحة دراسية لدراسة الدكتوراه، وتكون عاملاً من العوامل التى تجعل «بهاء وتقى» يشقان طريقهما معاً ليعودا فى المستقبل صورة ناصعة لمدرس ومدرسة عصرية، بداخلهما الأمل والنقاء والقدرة على العطاء.

ولم تكن المشكلات التى تواجه أبلة حكمت فى حياتها الخاصة بأقل أهمية من مشكلات طالباتها وهيئة التدريس العاملة معها: فرغم أنها تعيش حياة هادئة يحسدها الكثيرون عليها إلا أن هذه الحياة لا تخلو من مكدرات: فمع مواجهتها لشخصيات من أعمار وأجيال مختلفة تصادفها مشكلة أولاد ابنة القبطان: جارها الذى يحترمها ويقدرها وربما يتمنى فى قرارة نفسه لو كانت شريكة وحدته بعد طول التجوال والسفر. أما أولاد ابنته فقد اضطرت ظروف سفرها أن تتركها فى رعايته،

وهما يشعران بقدر كبير من التحرر نتيجة غياب الأب والأم، يحتاجان لاعادة غرس قيم مهمة فى نفسيهما وتكون مسئولية أبلة حكمت أن تعيد الطفلين إلى الالتزام وان تجعلهما يتقبلان آراءها بحب واقتناع.

ولنا أن نتساءل فى ظل غياب الأب أو الأم، فى ظل السعى وراء العمل فى بلد بعيدة من أجل المال كيف يمكن جمع شمل الأسرة، فمن أهم مميزات المجتمع المصرى. ذلك الكيان المترابط القوى: الأسرة المصرية، ذلك الكيان يتعرض لهزات فى ظل البحث عن فرص العمل والرغبة فى حياة أفضل، فإذا كان السعى من أجل الأبناء الا أن الأولوية يجب أن تظل دائماً للأسرة المجتمعة حيث يعيش الأبناء فى ظل أبويهم.

وتتعرض «أبلة حكمت» لأزمة كبرى: حيث يهب لها رجل الأعمال المغترب صلاح أبو رحاب: ثروته فى محاولة لايهامها بأنه يضعها فى اختبار أمام المال الذى رفضته حينما أصر على أن تغترب معه، وقررت أن تبقى فى بلدها ورغم أنه كان الرجل الوحيد فى حياتها إلا أنها رفضت ان يكون المال فى نظره له الأولوية على العلاقة الإنسانية القوية المستقرة مع من يحب، وقد أراد أبو رحاب أن يتهرب الآن من مشكلاته المالية ومن الضرائب التى أثقلته فكانت تلك الحيلة مع حكمت.

وكما تساءلنا عن تأثير المال على وضع الأسرة المصرية المعاصرة، لنا أن نتساءل عن تأثيره على الشخصية المصرية مع ظروفها الاقتصادية المتغيرة فى الثمانينات والتسعينيات: هل يمكن للمال الذى يسعى وراءه أى إنسان من أجل حياة كريمة أن يغير من مكونات شخصيته وقيمه وسلوكياته؟

ويجيبنا المسلسل من خلال الشخصيات التى طرأ عليها التغيير بعد أن هبطت الثروة على «أبلة حكمت»، تغيرت الشخصيات التى لديها رغبة فى التملك، والتى يعد الطمع والشره واهتزاز القيم من مكونات شخصيتها.

فقد جاءت صدمة حكمت مع أخيها وأختها قوية حيث طمعا فى المال حتى أنهما كانا فى طريقهما لرفع قضية حجر عليها حتى لا يضيع المال من أيديهما إلى «بسمة» حفيدة القبطان، وأم جابر مديرة المنزل وحفيدتها، ويأتيها التفسير على لسان الأخ

الأكبر: «أمجد» فالأخت الصغرى لا تعرف إلا الأنانية والذاتية المطلقة وقد تعودت على الأخذ الدائم، أما الأخ الأوسط: أكرم فلديه أيضا جشع واهتزاز قيمى يجعله يضع المال دائما فى المقدمة.

وقد حاولت «أبلة حكمت» أن تحقق الحلم الذى طالما سعت إلى تحقيقه: المدرسة التى تهتم ببناء الطالب والمدرس معا إلا أنها اكتشفت أنه ليس لديها الحرية الكاملة فى ارساء مفاهيمها التربوية كيفما تريد، وان القيود الإدارية تعوق ارساء قواعد حلمها.

وفى لحظة تشعر أبلة حكمت بأنها وصلت إلى أقصى حدود الاحباط وعدم القدرة خاصة عندما يتم اختيار صديقتها «رشيدة» كوكيلة للوزارة بدلا منها لأسباب إنسانية منها عامل السن. ويتعرض هنا المسلسل لعملية الاصلاح الإدارى التى يطالب بها المجتمع المصرى منذ سنوات فالقيود الإدارية والمعوقات البيروقراطية أحد مكونات الاحباط التى تواجه الشخصية المصرية المعاصرة، خاصة وان معايير انتقاء القيادات الموضوعية تجعل الكفاءة فى المقدمة، إلا انه عند التطبيق الفعلى لهذه المعايير يتأخر ترتيب الكفاءة وتتقدم عناصر أخرى منها السن والظروف الإنسانية اللذان قد يخفون وراءهم عوامل المحسوبية والتفضيل الشخصى.

وقد أنقذ «أبلة حكمت» من احباطها: تقدير الكثيرين من حولها تقدير طالباتها، تقدير المدرسين والمدرسات الذين ارتبطوا بها كمثال وقدوة وشخصية أسيرة إلى قلوبهم وعقولهم. تقدير المسئولين فى المحافظة ووزارة التربية والتعليم، ذلك التقدير الذى جعلها مرشحة لمنصب قيادى فى اليونسكو.

إذن هل تصلح أبلة حكمت ان تكون نموذجاً لشخصية المرأة المصرية المعاصرة، أظن أن الإجابة: نعم. ففى مجتمعنا المصرى شخصيات عديدة لها نفس سمات أبلة حكمت، ويقمن بنفس الدور باقتناع واقتدار. وكل منهن تدرك أنه إذا كان الضمير مرشداً وهادياً فلن يضل الإنسان ولن يضيع.

مسلسل: الراية البيضاء

خلال فترة من فترات مجتمعنا والتى سميت بفترة الانفتاح الاقتصادى والتى بدأت منذ منتصف السبعينيات واتضحت تأثيراتها منذ أواخر ذلك العقد ظهرت فئة استمدت سلطتها وسطوتها من المال، وسعت إلى الثراء بكل وسيلة مستغلة مناخ الحرية والرواج الاقتصادى.

عملت هذه الفئة بالتجارة فى كل أنواع السلع، واستغلت كل الوسائل للوصول إلى أغراضها، وأصبحت وكأنه لا هم لها إلا الاغتراف من المتع والطمع فيما فى أيدى الغير.

ـ تمثل هذه الفئة: فضة المعداوى: تاجرة السمك، واسعة الثراء، شديدة السطوة، قوية النفوذ، وهى فى عنفوان قوتها تعكس عدة سلبيات أفرزتها تلك الفترة وعمقها الضعف الكائن فى تلك الشخصية: فهى تتسم بالسوقية، الرغبة فى الاستحواذ الفهلوة وخداع الغير.

فى المقابل: تصادفنا شخصية الدكتور مفيد: السفير العائد من الخارج بعد انتهاء مدة خدمته، الباحث عن السكينة والاستقرار والراحة فى فيلته بالإسكندرية حيث يتمنى أن يعيش بين كتبه لينعم بالاستماع إلى الموسيقى ويستقر فى المرفأ بعد طول تجوال. ورغم أن د. مفيد أبو الغار اغترب عن وطنه لسنوات إلا أنه شخصية محبة للوطن، منتمية له ولم يكن يدور بفكره وهو يحلم بالعودة انه سيصادف ما يصدمه: تصدمه رغبة فضة المعداوى فى شراء الفيلا وهدمها تصدمه الرغبة الغريبة فى التملك، السعى بكل وسيلة لنيل الغرض، رفض الجمال والسعى لتشويهه.

ويطرح المسلسل تعبير مراكز القوى بمفهوم جديد يختلف عما أدركناه في بداية السبعينيات فى معنى سياسى لجماعة أرادت تغيير دفة الحكم، فمركز القوة هنا

شخص لديه النفوذ والمال، يفرض سيطرته ليستحوذ على ما يرغب ويعتقد دائما أنه لا شيء يقف أمام رغباته ولا يتوقف كثيرا أمام مدى أخلاقية الوسيلة. نحن هنا أمام مؤسسة كما يقول د/ مفيد.

فضة المعداوى: بدأت فى سوق السمك صبية صغيرة لا تملك شيئاً، كانت أولى تجاربها فى الحياة تجربة سرقة خرجت بعدها لتعمل فى سوق السمك وتتزوج تاجراً يتركها أرملة فى سن الثالثة والعشرين ومعها ثلاثة أبناء ، كان يمكن لفضة أن تعيش كما تعيش آلاف السيدات اللائى يعولن أسر فى مصر ويتحملن ظروف الحياة بحلوها ومرها ويقنعنى بالحلال إلا أن سطوة المال والنفس التى لم تتسلح بالقيم ولم يتم دعمها بالأخلاقيات تدفع فضة فى كل اتجاه لتجمع ثروتها سلاحاً يحميها تشهره فى وجه أعدائها، تشترى العقارات والأراضى، تتاجر وتغترف من كل صنوف الثروات.

ولم يعد يقف أمامها شيء ولم تكن تظن أنه يمكن أن يقف أمام رغباتها حائل إلا أنها تصطدم بعقبة ظنتها بسيطة: د. مفيد السفير العائد الرافض لمبدأ فرض القبح والسوقية.

فلعبة القوى اتضحت أطرافها وبرز فيها جانبان رئيسيان جانب: يحارب قيم الجمال والخير وينشر الابتذال.

وجانب: يحافظ على الجمال ويسعى لنشر الخير والأخلاقيات.

المعركة الأساسية فى هذا المسلسل: معركة فضة ـ مفيد ولكن فى نفس الاطار توجد عدة معارك توضح مدى شراسة القتال بين من يملكون المال، ومن يملكون الفكر ويدركون عناصر التقدم ولكن ليس لديهم نفس أدوات أصحاب المال.

معركة أمل صبور:

صحفية تعلمت فى مدرسة الحق والصواب ، نشأت على العطاء ومساعدة الآخرين، والدها د. صبور أستاذ بكلية الطب يفتح عيادته لمرضاه بأجر رمزى للغاية يؤمن بأن الطب خدمة لا سلعة.

بدأت أمل تواجه الفساد من خلال تحقيقاتها الجريئة وقاربت على أن تكشف عن

عدد من الفاسدين، لذا حاولوا معها بمختلف الأساليب المتاحة لديهم وعندما فشلوا فى المواجهة: لجأوا إلى الالتفاف بالأسلوب الأكثر قوة وتأثيراً: الخيانة، بحثوا عن شاب يوهمها بحبه فتثق به وتتزوجه، وبعد الزواج يسرق مستنداتها المهمة ويقبض الثمن ويسافر للخارج، ويصير الخبر فضيحة بأن أمل صبور وزوجها يتقاضيان رشوة حتى لا تكتب عن قضايا الفساد، ولم يكن أمام أمل طريق إلا أن تعتزل الصحافة وقد أصبحت فى نظر الجميع مدانة حتى مع سفر زوجها وطلاقه له غيابياً، كانت الصدمة أكبر من أن تستوعبها أمل وتتصدى لها فقد جاء الغدر من أقرب الناس. وتعيش فترة ليست بالقصيرة بين ألمها وحزنها حتى يأتى د. مفيد ويذكرها بأنه كان من قرائها وأنه احترم جديتها وقدرتها على التصدى للفساد ويساعدها فى إثبات براءتها لتعاود عملها وقد زالت آثار التهمة المجحفة.

ورغم أن أمل لم تستطع أن تستعيد توازنها النفسى والعاطفى بالكامل إلا أنها تواصل تحقيقاتها الصحفية وتلتحق بجبهة المدافعين عن حق د. مفيد فى الحفاظ على فيلته التى تحتوى على كنوز تراثية اكتشفت بها وهى مخطوطات نادرة تؤرخ لفترات مهمة من تاريخ الإسكندرية ومصر.

معركة مطاوع:

تعرض مطاوع لأصحاب الفساد من خلال عمله فى أحد الفناد ق الكبرى وعندما لم يستطع المفسدون أن يجعلوه شريكاً لأعمالهم الإجرامية دبروا له مكيدة ساهم فى تنفيذها أقرب أصدقائه وزوج أخته وزجوا به فى السجن، خرج مطاوع من سجنه ولم يعد يملك شيئاً ليبحث عن عمل فيجد ضالته كمدير للمنزل عند د. مفيد.

ويحاول مطاوع ان يقف إلى جوار د. مفيد فى حربه مع امبراطورية فضة وقد أصبح خبيراً فى أساليب مؤمرات مراكز القوى.

معركة هشام:

هشام ابن أنيس المحامى، يعيشان معاً كصديقين بعد رحيل والدته عن الدنيا منذ زمن، يواجه الدنيا بحلمه بعد تخرجه فى كلية الفنون، حلمه أن يقدم لوحاته وفنه

للناس، إلا أن حلمه يتحول إلى أزمة عندما لم يستطع أن يحوله إلى واقع ويؤكد أصالة ابداعه وجودته .

يعمل هشام فى قصر الثقافة حيث الأحلام الكبيرة والإمكانيات المحدودة إلا أنه يشعر من خلال عمله بأنه يؤدى مهمة عظيمة فى توصيل الفن إلى كل الناس من حوله.

ويصطدم هشام بابنة فضة «سمحة» التى ترغب فى ان تمتلكه وتختاره لتفرض عليه مشاعرها إلا أنه يرفض أن يكون سلعة تباع وتشترى، يرفض أن يمتهن مشاعره فيكون بهذا عرضة لانتقام سمحة ووالدتها وبالطبع الانتقام بأساليب رخيصة كأن تدعى سمحة أن هشام حاول أن يعتدى عليها. وينجيه من التهمة تعرضه للضرب المبرح من زبانية فضة، ونظراً لأن أنيس يعرف جيداً أساليب فضة فإنه يتنازل عن حقه فى اتهامها بضرب ابنه رغم اصاباته البالغة، وقد سبق لأنيس أن عانى من سرقة مستندات من مكتبه لكى يستجيب لضغوط فضة بالعمل على اقناع د. مفيد ببيع الفيلا.

ورغم مشاعر هشام القوية تجاه أمل فإن تجربته معها لا يتحقق لها النجاح لأنها لم تتحرر من معاناة تجربتها الأولى.

معركة العربى ابن حنفى:

العربى ابن حنفى هو الآخر من مواجهى الفساد يتولى تعليم التاريخ لطلابه بمفهوم جديد فيتم تحويله إلى التحقيق ويوقف عن العمل.

ويتضح للدكتور مفيد أن العربى نموذج لابن البلد الأصيل الذى يحب الجمال ويسعى لبناء الحضارة ويملك معايير قيمية متوازنة وان ما يراه من اختلال قيمى حدث بخلل فى بعض النفوس الضعيفة التى لم تجد فى محيطها القدوة الصالحة التى تعينها على تلمس الطريق الصحيح.

فجبهة فضة: جبهة فاقدة للقيم، تتنكر للأصالة، تبتعد عن السمات الأصيلة فى تكوين المصرى، وفى بعض الأحيان تعاود سمات الجدعنة فرض نفسها على الساحة فتشعر فضة بوخز ضميرها ويجلدها عقابه فتوقف تمادى أبو طالب المحامى.

وهذا المحامى: لم يعد يسأل نفسه وهو الدارس للقانون عن الخطأ والصواب وإنما السؤال الذى يفرض نفسه عليه باستمرار بكم؟ . فالمال أصبح سيده وقائده ومرشده يزّور عقد إيجار فيلا أبو الغار ليحتلها حنفى ورجاله، ويتخذونها مسكناً لهم: يحطمون أوانيها الخزفية الأصيلة، يتجاهلون كل آداب اللياقة واحترام المكان مما يشعر د. مفيد بالإنكسار الشديد أمام تلك الهجمة الشرسة وينقذه من الاعتداء قيام العربى بالاستيلاء على العقد المزور بالاحتيال وتسليمه لمفيد ليعود السلام المؤقت إلى الفيلا، حيث يواصل أبو طالب ألاعيبه بالعثور على عقد قديم بين والد مفيد وجاره يجعل للجار الحق في عدة أمتار فيقتحم أبو طالب حديقة الفيلا ويبنى جداراً جديداً يغلق نوافذها الخلفية، ويجد أبو الغار العقد الصحيح ليعود الوضع إلى ما كان عليه.

ويستمر أبو طالب فيحرق سيارة د. مفيد فى محاولة للتأثير عليه حينما يفقد جزءاً رئيسياً من حسبة الستر التى يدخر للأيام.

وهكذا تتوالى الأساليب والمؤمرات وأصعبها وأقساها اتهام د. مفيد بسرقة الآثار والاحتفاظ بها فى منزله، وتدبير مؤامرة لهشام وأمل بتأجير شقة لتعاطى المخدرات.

ويكاد أبو الغار ان ينهار أمام تلك الهجمات المتوالية فالأمر لم يعد مجرد فيلا يمكن ان تباع فى أى وقت ـ ولكن لمن يعرف قيمتها وإنما هى معركة قد يضعف فيها ويسلم فى أية لحظة خاصة إذا شعر أنه بمفرده إلا أن أنصاره يتزايدون وتصبح المسألة قضيةرأى عام، وعندما يأتى البلدوزر ليهدم الفيلا يقف أنصار الحق والخير والجمال فى مواجهته، فالشر لن يتراجع إلا إذا وقفنا أمامه بجرأة الحق، والفساد لن ينهزم إلا إذا تجمعنا وتوحدنا لمحاربته، وأصحاب المبادىء وبناة الحضارة ليسوا قلة: هم الأغلبية... هم الوجه الحقيقى للوطن.. هم الذين لن يستسلموا ولن يرفعوا الراية البيضاء.

❑❑❑

مسلسل: لن أعيش فى جلباب أبى

هناك نوعان من رجال الأعمال: نوع ورث تجارته وأعماله عن أسرته فهو يستثمر وضعاً مستقراً ويبنى نجاحاً فوق النجاح القائم.

ونوع آخر يبدأ الطريق من بدايته: لا يملك إلا ارادته وقدرته على التحمل ونفاذ بصيرته: يبدأ بمشروع صغير يتطور ويكبر حتى يثبت أقدامه فى السوق.

هذا النوع الذى يبدأ الطريق الصعب هو الذى لا يرضى بالمال الحرام ويسهم فى بناء اقتصاد قومى لبلاده.

من هذا النوع يصادفنا: عبدالغفور البرعى الذى وجد نفسه وحيداً بلا أهل ولا مال، أسرف والده فى تدليله فى صغره فنشأ بلا تعليم ولا حرفة وإذا به يجد نفسه بلا معين على مصاعب الحياة ومتاعبها.

يأتى عبدالغفور إلى وكالة البلح ليعمل حمالاً فى وكالة الحج سردينة لتجارة الخردة ويسمح له الحاج بالمبيت فى الوكالة بعد يوم العمل الشاق، يشفق عليه فهو يذكره بنفسه: طموح ومجتهد يريد أن يتعلم ولأنه ذكى فهو يتعلم بسرعة.

يقرب الحاج سردينة عبدالغفور منه ويصبح ساعده الأيمن وسميره وجليسه مما يثير غيرة أقرب المقربين له: ابنه محفوظ، ورئيس العمال، محفوظ يتعامل مع العمل بتعالى فهو ابن صاحب رأس المال لا يريد ان يعمل بيديه ويتعلم بالقدر الذى يمكن به أن تسير الأمور: فمن هذا القادم الذى بدأ يشغل مكانة متميزة فى عالم أبيه تجعله يرغب رغبة مستمرة فى مساعدته ومد يد العون له.

أما رئيس العمال: فهو المهيمن على الوكالة والذى يرغب ان تكون مصالح الحاج فى يده وأن يكون موضع ثقته، ويحقد على عبدالغفور لأنه مصدر الخطر، فى فترة وجيزة كسب ود وصداقة وشفقة الحاج فلابد من تدبير مكيدة له. ولتكن حادثة

قضاء وقدر ناجمة من وضع حديد الخردة بطريقة معينة فى مكان نوم عبدالغفور ليدفن تحتها. وفى الصباح يفاجىء الجميع بعبد الغفور مصاباً ويتم نقله إلى المستشفى وتكتب له النجاة مما يزيد من اهتمام الحاج به.

وهنا نلاحظ العلاقة بين صاحب العمل وصبيه: وهى علاقة واضحة فى تراث الشعب المصرى خاصة فى المهن اليدوية: حيث يحرص صاحب العمل على نقل أسرار المهنة وخبرتها إلى صبيه ويساعده فى اتقان طرقها وأساليبها، وهو هنا ينقل ميراث المهنة ويعمل على استمراريتها والحفاظ عليها وهو ما نجده فى فن الخيامية والأرابيسك، والنقش على النحاس فى القاهرة القديمة.

وعادة ما ينتقى المعلم من صبيانه أكثرهم ذكاء وقدرة على الاستيعاب ورغبة فى التعلم، وفى المقابل يبدى الصبى سرعة فى الاستجابة وشعوراً متزايداً بالولاء والانتماء.

يبدأ عبدالغفور فى الاستقرار فى حجرة صغيرة بجوار «فاطمة» بائعة الكشرى وأخيها:

فاطمة ابنة البلد المكافحة التى تقف فى الشارع لتكسب قوت يومها، والتى ترى فى عبدالغفور مثيلها فى الكفاح تعجب بشخصيته بطيبعته، بطموحه، بصبره وصموده.

ويرى عبدالغفور فى فاطمة الأمل فى البيت والعائلة والاستقرار، يرى فيها الإنسان الصادق الذى يمكن ان يلازمه رحلة العمر ويشاركه مشوار أحلامه وآماله.

تقف فاطمة إلى جوار عبدالغفور: تسانده وتساعده وتنتظر وعده بالزواج، تنتظر وهى تعرف انه سيفى بما ألزم نفسه به، ويكتسب عبدالغفور الخبرة فى السوق بداية من جمعه لبعض الأدوات وبيعها فى يوم السوق وقدرته على التنافس مع التجار الصغار وكسبه ثقة الزبائن وخفضه للأسعار.

وشيئاً فشيئاً يتجمع لدى عبدالغفور بعض المال الذى يمكنه من شراء محل فى الوكالة، ويتزوج فاطمة التى تستمر فى مساندته ومشاركته فى السراء والضراء.

وينضم إليه «فهيم أفندى» الرجل ذو الدراية الواسعة بالحسابات والأسعار والقادر على التفاوض وفهم السوق، كما ينضم إليه أخو فاطمة ليتحمل مسئوليات وكالة عبدالغفور الجديدة.

يساعد ذكاء عبدالغفور وبعد نظره وحكمته على تزايد مكانته فى السوق ويصبح من رجال الأعمال المعدودين حتى انه يشترى طائرة مستهلكة تعلن شركة الطيران عن بيعها ليبيع أجزاءها.. ويدخل المزادات ويكسب تجار السوق.. ويبنى مصنعاً ليطور من أعماله وتجارته.

وتستمر فاطمة إلى جوار زوجها الذى لا ينسى فضلها والذى يراها دائما الزوجة الوفية القادرة على اسعاده على الرغم من أن كثيراً من أقرانه التجار يتجهون إلى الزواج الثانى مع توفر المال فى أيديهم فمحفوظ ابن سردينة يتزوج للمرة الثانية ويحاول اقناع عبدالغفور برأيه إلا أنه عبدالغفور يجيبه بالرد المقنع: إذا أحب الرجل امرأة وأكرمها لا يرضى أن تعدلها امرأة أخرى.

ويكبر الأولاد: أربع بنات وولد وحيد.. ومع تعاظم دور الأب فى السوق مع تزايد شهرته وثروته تصبح مشكلة الأبناء أنهم أولاد عبدالغفور البرعى.

ولنبدأ بسنية: الابنة الكبرى يقترب منها ويوهمها بالإعجاب والحب «نبيل» ابن الوزير الذى يقطن فى عمارة عبدالغفور، ولنقترب من عائلة الوزير: لنجد زوجة تؤمن بالمظاهر إلى أقصى درجة، ترى فى منصب زوجها درجة رفيعة تعلو بها عن الناس وحتى بعد ان يترك زوجها منصبه ترى أنها فى مرتبة عالية يجب ان تعززها بالمال وهو ما يجعلها توافق على زواج ابنها من ابنة عبدالغفور، ورغم هذا فإن زوجها يقدر عبدالغفور ويعرف انه إنسان ذكى بنى نفسه وكون ثروته بكفاحه ورغم عدم موافقته على أسلوب زوجته وابنه إلا أنه يسعى ليتزوج نبيل من سنية.

وعندما يتزوجا يكتشف ابن السفير أنه لن يستطيع ان يجنى مالاً من وراء عبدالغفور، وتكتشف سنية انه، أوهمها بالحب وانها انقادت بمشاعرها له لقلة خبرتها وطيبتها وان الحقيقة انه يسعى وراء المال فقط ويكون الانفصال وتكون التجربة المؤلمة الأولى للابنة الكبرى.

أما نظيرة الابنة الثانية فتطاردها هى الأخرى مشكلة انها ابنة عبدالغفور البرعى: حيث يسعى محفوظ لتزويجها من ابنه المهندس الشاب.. ونظراً لأن محفوظ لا يريد أن يساعد ابنه فى مشروعاته التى يحلم بها فإنه يرى ان عبدالغفور سيساند زوج ابنته، ولأن الابن لا يفكر فى الزواج وكل ما يشغل فكره بناء مستقبله فإنه بعد الزواج ينصرف عن نظيرة وتشعر أنهما منفصلان تقريباً على الرغم من سعيها للاقتراب من عالمه ويصارحها بأنه لم يحبها وإنما تزوجها بناء على رغبة والده ولكى ينشىء مشروعه ويكون الفشل ايضا نهاية تجربة الابنة الثانية.

أما نفيسة الابنة الثالثة فتتزوج من خضير ابن خالها الذى تخرج فى كلية التجارة ويعمل إلى جوار زوج عمته ولأنها ترغب فى النصيب الأكبر من ثروة أبيها فهى تدفع بزوجها لكى يكتسب رضاه ويضاعف مرتبه... رغم أن خضير مثل والده لا يطمع فى أن يكون تاجراً ولا أن يأخذ أموالاً ليست من حقه هو من الموظفين الجادين المعاونين ويصارحها بأنه من فئة يمكن أن تكون معاوناً جيداً ولكن لا تصلح أن تكون صاحبة رأس مال وأعمال.

أما بهيرة فهى الوحيدة التى خرجت من دائرة الضعف والفشل وأدركت أن تعليمها هو السلاح المهم فى حياتها: وأن عدم مواصلة أخواتها لتعليمهن كان سبباً فى اضعافهن، كما أنهن لم يدركن مثلها مغزى أن يكن بنات رجل أعمال شهير، أما هى فتعرف: تعرف أن والدها اعتمد على نفسه وذكائه وقدراته وهى تسلك نفس الطريق بدون مساندة لذا تقرر وهى فى الجامعة الأمريكية ان تواصل مشوار العمل والدراسة بصلابة وعزم، ويكون الوضوح سبيلها حينما يقترب منها صديق أخيها: يقدر شخصيتها وصلابتها ويحترم سعيها لأن تكون نفسها لا أن تكون ابنة عبدالغفور البرعى.

أما عبدالوهاب الابن الوحيد فمنذ البداية عاش صراعاً نفسياً حاداً: يحب أبيه ولكنه يريد أن يكون نفسه، وهو محاصر دائماً بأنه ابن عبدالغفور البرعى: الجميع يتوقع ان يكون مثل أبيه والجميع يطلب منه أن يكون وسيلة جيدة التوصيل بأبيه، فى المدرسة لا يتحدثون عنه وإنما عن أبيه.. يجعله الرفض النفسى يرسب فى دراسته

رغم ذكائه وقدراته، وعندما ينجح يهرب إلى الخارج ولا يعود بشهادة وإنما يعود بحيرة جديدة ، تدفعه الحيرة وعدم وضوح الغاية إلى أكثر من سبيل... مرة يتدين إلى حد الابتعاد عن الدنيا ويتخذ موقفاً سلبياً من كل ما حوله، ومرة يندفع إلى الزواج من فتاة أجنبية مستشرقة تسعى من خلاله إلى عالم تجارة والده الذى يكتشف بسرعة منطقها فى الشطارة ويرفض أن يكون نقطة انطلاقها إلى عالم الثراء.

وبعد الحيرة والتخبط والصراع، وبدون ضغط أو توسل أو طلب يدرك عبدالوهاب ذاته بعد مشوار طويل: يدرك انه يستطيع ان يطور مشروعات والده.. يستطيع ان يقف إلى جواره لا ليكون نسخة منه وإنما ليكون نفسه امتداداً طبيعياً للخبرة، تواصلاً مستمراً للأجيال، يتوصل عبدالوهاب إلى حقيقة ذاته: إلى أنه يستطيع ان يكون كياناً مستقلاً يضيف إلى ذاته وإلى اسم والده بدون ان يذوب فى شخصيته بدون ان يكون بلا ملامح ولا لون.

ورغم أن عبدالغفور البرعى منذ البداية لم يضغط على ولده ليختار نفس طريقة إلا ان عبدالوهاب كان محاصراً بمناخ يجبره على الانقياد والذوبان فى الكيان الأكبر وهو ما رفضه.

وربما كان يمكن ان يساعد عبدالوهاب فى طريقه ان تكون العلاقة بين الأب وابنه علاقة صداقة وقرب وتفاهم فقد كان عبدالغفور طوال سنوات تربية عبدالوهاب مشغولا بعمله متفرغاً له.. لم تكن هناك فرصة للتواصل الحقيقى بينهما.. وشعر الابن ان أباه يتجاهله وربما يقلل منه، وأراد الأب أن ينشأ ابنه معتمداً على نفسه مستقلا بخبراته... فنشأ نوع من الجفوة والتحدى فى شخصية الابن: ذابت عندما أدرك ان والده يحبه يرغب فى ان يكون سنده وامتداده وساعده الأيمن.

❑❑❑

مسلسل: نصف ربيع الآخر

ربيع الحسينى: شخصيتنا المحورية محامى قدير، رجل قانون يحميه دائما ضميره ومبادئه الأخلاقية الأصيلة، يسعد بأسرته الصغيرة المكونة من زوجته: سعاد مديرة المدرسة، وأميمة وأحمد.

يتمتع ربيع الحسينى بحس إنسانى عال: يجعله يدرك مسئولياته، يقدر عطاء زوجته، يعيش حياته فى هدوء وصفاء، هو نموذج للمصرى المعاصر ابن الطبقة المتوسطة الذى يكافح ويجاهد من أجل حياة كريمة له ولابنائه، تؤرقه مشكلة الماديات وارتفاع الأسعار، والتناقضات الحادة التى تؤدى إلى ظهور طبقات طفيلية تكتسب كل صنوف المال الحلال والحرام وتغترف من متع الحياةوتظن أنها بمالها تعلو على كل القيم، ومع هذا يظل حلم ربيع الحسينى وأمثاله من أبناء المجتمع المصرى الشرفاء تحقيق حياة كريمة والسعى من أجل لقمة عيش حلال.

يرفض ربيع الحسينى القضايا الملتوية والتى يمكن التحايل فيها على القانون، يرفض ان يجعل من القانون لعبة فى يد الماهر، لا يلجأ إلا للأساليب الواضحة والطرق المباشرة.

تبدأ أزمة ربيع الحسينى مع عودة «ناهد» رفيقة شبابه، حبه القديم الذى لم يكتب له التتويج، ذكرياته الجامعية، نقاء الماضى ومشاعره القوية وأحلامه المرجوة، مساعيه التى خابت، تألق العينين، دقات القلب وهدير العاطفة.

وأزمة ربيع هنا أزمتان: ـ

أزمة تبدو واضحة هى أزمته العاطفية وصراعه بين واجباته الأسرية واستقراره العائلى وبين حب قديم عاد ليحيا، عاد ليثير عاصفة فى سماء حياة الحسينى الهادئة.

أما الأزمة التى تتضح لنا فيما بعد فهى أزمته الأخلاقية ما رفضه ربيع الحسينى طوال حياته من تلاعب بالقانون والدخول إلى مافيا الأموال الحرام.

أزمته العاطفية هى أزمة منتصف العمر التى يمر بها البعض عندما يرهقه تعب السنين، عندما تمر الأيام ويفيق ليجد الشعر الأبيض بدأ يتسلل إلى شعره فيقف ويسأل نفسه:أين المشاعر الحلوة؟ أين الأحاسيس الدافئة؟ وأين لهفة الشباب؟.

البعض يعبر تلك الأزمة بسلام خاصة إذا كان متوافقاً نفسياً، وعمل على ايجاد التوازن بين السعى الجاد والتمتع بالحياة ومتعها البريئة، وإذا كانت إلى جواره أيضا زوجة محبة واعية.

ورغم ان زواج ربيع الحسينى كان زواجاً تقليدياً إلا انه كان زواجاً ناجحاً وأثمرت العشرة بين الزوجين عن توافق واتفاق وحب هادىء عميق.

ومن خلال صراع ربيع الحسينى مع مشاعره الثائرة المتدفقة وحياته المستقرة يتأكد لنا أهمية الأسرة فى حياة المصرى المعاصر الذى لا يرغب أبدا أن يعرض أسرته وأبناءه للتمزق والضياع.

يبرز لنا الحرص على الأسرة من خلال موقف الزوجة المحبة الوفية «سعاد» التى ساندت زوجها طوال مراحل حياته وعندما آن الأوان لكى تجنى الثمار جاءت الأزمة لتعصف بأمنها واستقرارها.

نجح المؤلف محمد جلال عبدالقوى فى أن يصور لنا مدى المعاناة التى تعايشها سعاد وهى ترى حب السنين يتسرب من بين يديها، أحيانا تخفى حيرتها وقلقها وشكها وأحيانا أخرى تنفجر الشكوك وتصرخ الآلام عبر الدموع ويؤلمها الجرح فتبكى وهى تصرح لوالدتها: ماذا أفعل؟ وهو زوجى وعشرة أيامى أهنت عليه فباعنى لمن جاءت بأحلامه القديمة ولا يستطيع الصمود أمام اغراءاتها؟

وقد كانت اغراءات «ناهد» بالفعل كثيرة، عادت إلى مصر وهى تدرك أن شهامة الحسينى ستجعله يقف لمساندتها وهى تمثل دور الزوجة المخدوعة التى لعب زوجها رجل الأعمال باسمها وأورطها فى مجموعة مشكلات وهرب، أما هى فعادت لكى تحل المشكلات وترد الأموال لمستحقيها ولم تهرب مثل زوجها.

والحقيقة ان ناهد كانت شريكة زوجها فى كل أعماله ولم تكن ساذجة أو متغافلة وانما كانت راغبة فى المال إلى أقصى درجة، وهو ما اكتشفه ربيع فى النهاية كما اكتشف أنه كان وسيلة لكى تتمكن ناهد من توفيق أوضاعها وعودة مالها.

ومن خلال مؤسسة «ناهد» يقترب الحسينى من هؤلاء الذين يكيفون القانون وفق هواهم وهؤلاء الذين يبيعون ضمائرهم وأخلاقهم.

ينخدع الحسينى فى البداية ويقف إلى جوار ناهد ويقترب منها وتحاول ان تغدق عليه من أموالها وتتكفل بحملته الدعائية لعضوية مجلس الشعب، تسخر عالمها الترويجى من أجل انجاحه ونجاحها معه إلا ان الناس البسطاء يدركون حقيقة ما تمثله ناهد بالنسبة لهم ويرفضونها.

ويجد ربيع الحسينى الزوجة إلى جواره لم تتخل عنه حتى انها تدافع عن أمام ناخبيه، فيدرك الحسينى ان من عادت بمشاعر وهمية ستعود خائبة وانه سيعود إلى بيته من جديد.

ومن خلال المسلسل يطالعنا عزم الشباب وارادته وادراكه لقيمة البيت والأسرة:-

أميمة وأحمد ابنا الدكتور الحسينى يشعران بتلك الأزمة التى تعصف ببيتهما، يدركان الأب هو الرمز والقدوة هو مثال الأخلاق والالتزام، لم ترحب أميمة أبدا بوجود ناهد فى حياة أبيها، وعندما جاءت إلى فرحها دون دعوة: توترت العلاقة بين أبيها وأمها وأشعرتها أميمة بالرفض ولم تجد ناهد مفراً من الانصراف وقد تيقنت من رفض الأبناء لها.

يسعى أحمد وأميمة دائما إلى التقريب بين الوالدين يشعران أباهما بمدى حب زوجته له، ويؤكدان لأمهما مدى ارتباط أبيهما بها وبأسرته.

تزوجت أميمة من «علاء» مخرج التليفزيون المرح الباسم المتدفق بالحياة والحيوية، والذى يرى فى حياة حماه دراما جديدة يرغب فى تحويلها إلى عمل تليفزيونى.

ومع هذه السخرية المتدفقة فى تصرفات علاء إلا أنه يحب تلك الأسرة التى انتمى إليها ولا يرغب لها أبدا ان تنهار.

أما أحمد فإن بداخله صورة د. الحسينى صورة الإنسان والأب المثالى، يحاول ان يتماسك أمام والدته وخطيبته ولا يريد لتلك الصورة ان تهتز.

أما المستشار «ثروت» صديق الحسينى فهو صوت الضمير الذى ينبهه ويحذره ويقف إلى جواره، لم يتزوج منذ توفيت زوجته وعاش من أجل ابنته علا.

يحترم استقامة الحسينى ويقدر ذلك الكيان الأسرى المتفرد الذى اختار منه زوجاً لابنته، كان يعرف دوما ان تلك الأزمة التى يمر بها الحسينى هى أزمة عارضة طارئة سيعود بعدها إلى عمله وأسرته سيعود بأخلاقياته وقيمه ومبادئه.

أجاد المسلسل فى تصوير حياة الإنسان المصرى المعاصر الذى يعيش عمره من خلال السعى للحفاظ على الأسرة والأبناء.

المصرى ابن الطبقة المتوسطة الذى لا يشكل المال فى حياته إلا وسيلة لحياة كريمة، لا يعانى من تطلعات طبقية وسعى إلى ثراء، وانما قد يعانى من ضغوط السعى المستمر وايجاد التوازن بين القناعة والرضا وبين الطموح من أجل حياة أفضل.

وقد كان شعار د. الحسينى: «استغن عن كل شىء تملك كل شىء» وهو نفس المبدأ الذى يكمن فى ميرات المصرى المعتدل: كن قنوعاً تكن أغنى الناس.

والقناعة والرضا من سمات ميراث المصرى على مر العصور إلا أن نمط الحياة السريع والانفتاح على مجتمعات واسعة الثراء وواسعة الترف أيضا أوجد أنواعاً من الصراع، وأوجد بعض الأنماط شديدة التطلع قد يصل بها إلى حد الطمع، وأوجد أيضا محاولات لدى الأفراد المعتدلين لايجاد التوازن المنشود.

❑❑❑

مسلسل : الضوء الشارد

هل تختلف سمات شخصية المصرى باختلاف مناطق مصر ومحافظاتها، هل المصرى فى الوجه البحرى يختلف عن المصرى فى الصعيد أو القاطن فى مناطقها النائية.

المكان بالطبع يؤثر على شخصية ساكنيه ومع وجود سمات رئيسية عامة للشخصية المصرية إلا أن البيئة المحلية قد تؤكد وتبرز بعض السمات وتستبعد سمات أخرى.. فمثلا نستطيع القول ان المصرى فى المناطق الساحلية لديه انفتاح على الثقافات وقدره على التعايش والتأقلم مع أنماط مختلفة من البشر، وهذه السمة يمكن ان نجدها فى المصرى فى أى بيئة أخرى وانما بدرجات متفاوتة.

وقد اختار لنا «محمد صفاء عامر» ان نعايش المصرى فى صعيد مصر حيث يلزم الإنسان نفسه بقيم وعادات وتقاليد خاصة تكسبه صلابة وقوة.

يقدم لنا المؤلف شخصياته المحورية:

«رفيع بك» كبير العزايزة: كبير العائلة الذى يرعى مصالحها، مرشح مجلس الشعب، الحريص على التقاليد، الذى أعده والده: سلطان بك لكى يكون الكبير من بعده، يملك زمام الأمور، يطيعه الكل، ويهابه الجميع منذ طفولته لم يكن من حقه الخطأ ولم يكن من حقه اللهو فأخذ نفسه بالشدة والجدية الزائدة، يحرص على مكانة العائلة فى القرية تلك المكانة التى بدأت تتعرض للمنافسة من وهبى السوالمى وعائلته.

ووهبى الذى يطمح فى مكانه تعادل رفيع بك أو تزيد كان والده يعمل كلافاً للماشية عند سلطان بك، فيكبر وهبى وفى قرارة نفسه حقد على أبناء تلك العائلة

الذين يقللون من شأن أبيه، يجمع ماله من تجارة السلاح والمخدرات ويشترى الأرض لينافس بعائلته السوالمة كبراء العزايزة.

وأول مجال للمنافسة كان انشاء مستشفى القرية حيث يتبرع وهبى بقطعة أرض لانشائها فى حين رفض رفيع بك أن يبيع جزءاً من أراضى العائلة لهذا الغرض، وبدا ان المنافسة تزداد قوة خاصة وان وهبى يريد لعائلته مكانة مساوية للعزايزة ويذهب مهنئاً بنجاح ـ فارس الابن الأصغر للعائلة يذهب مع أفراد عائلته مثل كل الكبراء فيقابله عم رفيع بالاستهزاء والإهانة ويذكر والد وهبى بعمله السابق لديهم وكيف كان أجيراً يقوم بخدمة بهائمهم. يشعر وهبى بعمق الإهانة خاصة أمام أبناء القرية وكبار رجالها فيعلن فور عودته ترشيح نفسه لعضوية مجلس الشعب: ذلك المنصب الذى احتكرته أسرة رفيع على الدوام وظل معبراً عن مكانتها وتفردها. ويتطور الصراع ويتصاعد بين الندين الرئيسيين: رفيع ـ وهبى أو العزايزة ـ السوالمة.

وفى اطار هذا الصراع نتعرف على والدة رفيع بك: تلك السيدة المعتزة بكبريائها، المدركة لمكانة العائلة والتى تحرص على مكانة ابنها الأكبر امتداد أبيه، تقدر تضحياته وانكار ذاته فى سبيل الحفاظ على كيان الأسرة والقيام بمسئولياتها.

أما الابن الأصغر للعائلة: فارس: فهو الابن الذى نشأ على التدليل وابتعد عن مشاكل القرية، أكمل تعليمه فى القاهرة، ينفق ببذخ على أصدقائه، يترك الحمل على كاهل أخيه، وان كان مع سهره واسرافه ورحلاته يتمتع بقلب وفىّ يكن كل الحب لأمه وأخيه، لا يجعلنا المؤلف نكره فارس بل في أحيان كثيرة نتعاطف معه خاصة عندما رأى فرحة وأحبها... و«فرحة» فتاة بسيطة تعيش مع والدها ميكانيكى السيارات فى بيت صغير بعيد عن العمران.

يكتشف فارس عند تعطل سيارته ولجوئه إلى عم غزال والد فرحة عالماً من الطيبة والعطاء والود والسماحة، يكتشف أسرة صغيرة من أب وابن وابنة كل منهم يحاول اسعاد الآخر، يجد فارس فى ذلك البيت البسيط ما يبحث عنه وما يريده: تأخذه تلك البنت الطيبة القنوعة التى لا تريد إلا راحة والدها وأخيها، لذا يصر فارس على ان يرتبط بفرحة ويتزوجها، وعندما يعرض الأمر على رفيع بك يرفض لأمرين

أولهما: انه كان يرجو أن يعود فارس للقرية لكى يقف إلى جواره فى صراع المكانة مع السوالمة، وكان يأمل أن يتزوج زواجاً يدعم مكانة العائلة وربما كان يرى الحل أن يصاهر فارس وهبى السوالمى.

ثانيهما: ان أخاه لم يراع الأصول فى زواجه وتسرع بزواج لا يتناسب فى رأيه مع قدر العائلة الكبير.

وتحاول الأم التوفيق بين ولديها حيث يصمم فارس على رأيه ويصمم رفيع على عدم حضور الفرح، ورغم هذا فإن رفيع لا يضمر كرهاً أو حقداً على أخيه الأصغر ويرق قلبه عندما يعرف انه سيزور القرية مع عروسه، وفى أثناء الانتظار يأتى الخبر بأن فارس تعرض لحادث ويرقد فى المستشفى ـ إلا أن الأمور تتطور بسرعة ويموت فارس متأثراً بجراحة تاركا جنينا فى رحم فرحة وتاركاً لوعة وحسرة عند الجميع: خاصة رفيع الذى يتعمق لديه الإحساس بالذنب، ويزيد من ثقل الضغوط اضطراره إلى الزواج من نفيسة ابنة السوالمى.

ولو عاودنا النظر فى شخصية رفيع فسنجد ان سماتها يمكن ان تكون سمات أى أخ أكبر فى أية أسرة مصرية يموت عائلها ويترك له المسئولية فينكر ذاته ويتحمل أعباءها إلا أن المجتمع الصعيدى لا يترك الفرصة لكى يعبر الفرد عن عواطفه ومكنونات نفسه لذا كانت حيرة رفيع عندما شعر بحبه لفرحة بعد وفاة أخيه: فقد جاءت لتعيش بينهم هى وابنها، ويتصارع فى داخل رفيع الشعور بالواجب ومسئولياته نحو زوجته وابن أخيه ومشاعره التى تقتحم حياته لأول مرة.

وتشترك فرحة مع رفيع فى تحملها المسئولية وحرمانها من التمتع بطفولتها فقد ماتت والدتها وأصبحت مسئولة عن رعاية أبيها وأخيها، والنضج المبكر والحرمان من حق الطفولة سمة تؤثر فى الشخصية تأثيراً واضحاً: فالظروف الاقتصادية والاجتماعية قد تحرم الطفل من أجواء طفولته وتدفعه إلى النهوض بمهام الكبار فيظل فى داخله حنين إلى أن ينعم بما حرم منه ويتعاظم لديه الشعور بالحرمان العاطفى، وفى بعض الأحيان قد لا يدرك الآباء والأمهات ضرورة تمتع الطفل بطفولته فيدفعون أبناءهم إلى مهام عديدة لانهم يريدون ان ينشئوا مدللين مرفهين.

ويبرز لنا من خلال الصراع الدرامى جوهر الشخصية المضادة لرفيع: وهبى: لديه شعور قاتل بالدونية، هذا الشعور يعمل على تعويضه بالبحث عن مصادر القوة وامتلاكها، وقد جفت منابع الرحمة فى قلبه فالقسوة هى السمة الرئيسية له بالاضافة إلى الرغبة لفرض السيطرة مما يدفعه إلى ان يرشح نفسه لمجلس الشعب، ويدفعه إلى تزويج ابنته برفيع بك ليضمن عناصر القوة فى يده، ويدفعه إلى الاتجار في المخدرات والسلاح ولان القلب تجمد وماتت مشاعره فهو لا يهتم بمشاعر ابنته ولا مشاعر المرأة التى أحبته وهو يتسلى بها، وتدفعه رغبته فى الاستحواذ على مال العزايزة ان يدفع بابنه من «رئيسة» لتدعى ابنته انها انجبته فينسب إلى رفيع، وتكون نهاية مؤامرة وهبى مع سعى البوليس للقبض عليه إلى مقتله، وهكذا فإن ممارسة العزايزة للتسلط والقهر لوالد وهبى السوالمى أشعره برغبة فى مواجهة هذا التسلط بأن يكون قوياً قاهراً قادراً متسلطاً مثل سلطان بك العزايزى ولا يترك الأخلاق أو القيم أو المشاعر تقف حائلا أمامه.

أما أخو وهبى «وصفى» فهو نتاج آخر للتربية الخاطئة والشعور بالتخبط والحيرة بين الأخ الفاسد والأب غير القادر فيلجأ إلى التطرف الدينى ويتخذ من تطرفه وعنفه ستاراً يخفى وراءه عجزه وحيرته وغربته وعندما يطالبه وهبى بالتوبة يسأله: مين يتوب مين؟

ويقدم لنا المسلسل أيضا شخصية الشيخ زهران رجل الدين العارف بتقاليد البلد الذى عاش عمره بين أهلها: يحترم العزايزة ويدرك جوهر رفيع، يعرف سر تطور ثروة وهبى السوالمى يحاول دائما التوفيق فى حالات النزاع والتحذير قبل اندلاع شرارة الخطر، يوجه ويصلح ويحاول ايضا أن ينأى بابنه الطبيب الذى أحسن تعليمه وتربيته عن الصراع بين العزايزة والسوالمة أما الابن د. فيصل صديق فارس والذى يعود للقرية بحلم انشاء المستشفى التى يتبرع بأرضها وهبى السوالمى، فإن رغبته فى تقديم خدمات طبية لأهل بلده قد تبعده عن إدراك حجم الصراع بين رفيع ووهبى بعد أن يطلعه والده على أحوال البلد وبعد أن يستقر بين أهلها يعمل على ألا يكون ورقة رابحة فى يد وهبى السوالمى.

ونظراً لاقتراب د. فيصل من عائلة العزايزة فإنه يلمس ندرة جوهر «فرح» أرملة

فارس فيتقدم للارتباط بها مما يزيد من حدة الأزمة التى يعايشها رفيع، وعندما ترفض فرح يشعر رفيع بمزيد من المسئولية نحوها وبمشاعر فريدة تقتحم عليه حياته فيحسم صراعه الداخلى بتطليق نفيسة ابنة وهبى بعد وضوح اشتراكها فى مؤامرة أبيها.

ومن خلال المسلسل نتعرف على عدة نماذج تعكس شخصية المرأة الصعيدية، ومن خلالها ايضا نرى ان المرأة المصرية خاصة فى جنوب الوادى تعانى من التبعية للرجل وانكاره لحقوقها ورغبته فى فرض سطوته وأرائه عليها.

ونبدأ من نجاة ابنة عم رفيع والتى تزوجت ابن عمها والتى لا تجد معه أى مجال للتحاور أو التفاهم هى وإن كانت ذات عقلية واعية الا أنها لا تستطيع الاقتراب من عالم الزوج الذى تشغله التفاهات، ورغم هذا فإن نجاة تحرص على بيتها وتحاول ان تظل المركبة طافية خاصة عندما يسعى الزوج إلى الزواج مرة أخرى لانهما لم ينجبا والاتهام هنا فى الصعيد يوجه عادة إلى المرأة، فلا أحد يجرؤ على اتهام الرجل ويتدخل رفيع ليوقف زواج «صبرى»، كما يتدخل فى أحيان كثيرة ليمنع تداعيات تهوره واندفاعه.

وتظل نجاة تعانى من القهر ولا تجد متنفساً عن كربتها إلا من خلال الدموع والشكوى لكبيرة العائلة: والدة رفيع وهذا يجعلنا نعود إلى والدة رفيع لنرى أنها نموذج مختلف فهى لم تعايش القهر مثل غيرها على الرغم من شدة زوجها سلطان بك إلا أنه كان يحترم رأيها ويعرف قدرها ويجعلها فى مكانة عالية مع اقراره بأن الرجل لا يجب ان ينصاع للمرأة وان حب الرجل الشديد للمرأة ضعف وإذا أطاعها يوماً فقد ملكته لعمره.

وقد أدركت والدة رفيع بذكائها الحاد اعتزاز زوجها برأيه فلم تقحم نفسها أبدا فيما لا يسألها فيه ولم تحاول ان تفرض رأياً ونجحت فى أن تظل مكانتها فى حياة زوجها وفى عائلة العزايزة ذات وضع خاص.

أما «رئيسة» الراقصة فهى نموذج للمرأة التى تتحايل لكى تعيش فى مجتمع يرفضها، وتبحث عن عناصر القوة فتجد في وهبى الحماية والسند.. ولأنها فى نظر

وهبى امرأة بلا ثمن يتزوجها عرفياً ويحاول اقناعها بعد حملها بأن تعطيها ولدهما لكى ينسبه إلى رفيع.

ويجعلنا المؤلف نتعاطف مع رئيسة التى يهزمها الحب والتى تشعر بالمهانة كشخصية هامشية فى مجتمع يكثر كبراؤه ولا تنجح فى أن تتعايش معهم.

أما نفيسة ابنة وهبى فهى نموذج أخر لقهر المرأة تحب فارس الذى لم تشاهده الا مرة واحدة وتظل حبيسة دارها حبيسة مشاعرها.. تتمناه زوجاً إلا انه يعود بزواجه بفرح.. فتعرف ان الأمل خاب وانه ليس أمامها الا أن توافق أباها على خطة المقايضة حيث يتنازل لرفيع عن الترشيح لمجلس الشعب مقابل أن يتزوج ابنته، وتجد نفسها زوجة لزوج لا يحبها ولا يرغبها تحاول أن تقترب منه الا ان باب مشاعره الموصد لا يفتح الا لفرح مما يزيد من كآبتها وحزنها وغضبها وتدرك بمشاعرها أن اقبال زوجها على أرملة أخيه ليس فقط من أجل الصغير اليتيم وانما لأنه أحبها.

نعايش مشاعر نفيسة من الاحساس بالضآلة والإنكسار والرغبة فى وجود الحبيب، والبحث عن التآلف، واللهفة المهزومة والشوق المكتوم والتسليم فى النهاية بما يريده الأب.

ويتركنا المسلسل لنبحث فى داخل كل منا عن ضوء لينير حياتنا.. يطمئننا...يبعث السكينة فى نفوسنا، ضوء نتمسك به، نحيا من أجله، ندافع عنه فلا يهرب ، ولا يفر، ولا يشرد.

مسلسل : عائلة الحاج متولى

بعد نجاح شخصية عبدالغفور البرعى فى مسلسل: لن أعيش فى جلباب أبى قدم لنا المؤلف مصطفى محرم شخصية بها فى بداياتها بعض سمات عبدالغفور: فمتولى شاب مكافح يعمل فى محل لبيع الأقمشة: يثق به الحاج صاحب المحل يأتمنه على أمواله، يدخله بيته، ويعتمد عليه، وهو لا يدخر جهداً فى خدمة الحاج وفى القيام بكل واجباته على أكمل وجه.

وهو شاب مستقيم لم يتزوج: تشاغله خادمة الحاج: «صباح» فيأبى، تتهمه بأنه راودها فيصعب على الجميع تصديقها ويظهر كذبها.

أما الحاج فيعيش عيشة راضية مع زوجته «زبيدة» رغم أنهما لم ينجبا، وتتطور الأحداث بمرض الحاج صاحب الوكالة ثم وفاته ولا تجد زبيدة أحداً تعتمد عليه مثل متولى الذى يظل على وفائه لأهل بيت الحاج، وتلمس زبيدة فيه الأمانة والوفاء والإخلاص وتعجب به تعرض عليه أن يكون شريكها فى الوكالة والبيت.

يتزوج متولى من صاحبة المال ويسعد معها وتشاء الأقدار أن تنجب زبيدة ويصبح لها ابناً من متولى: «سعيد» وتتطور الأحداث مرة ثانية بمرض زبيدة ووفاتها ويجد متولى نفسه وحيداً مع ابن صغير يحتاج لرعاية الأم وعنايتها، ويكون من الطبيعى فى ظل هذه الظروف أن يبحث متولى عن زوجة له وأم لابنه، ويوفق إلى فتاة طيبة يتيمة تجد فيه الملاذ والحماية، تسعى إلى اسعاده إلى أقصى درجة، وتبث كل مشاعر أمومتها فى «سعيد» خاصة عندما تأكدت أنها لن تستطيع أن تكون أماً.

يرسم لنا المؤلف شخصية «أمينة» بنفس راضية وقلب متسامح ربة منزل: محبة لبيتها، خفيفة الظل، صابرة، قادرة على التحمل.

إلى هنا وشخصية الحاج متولى متسقة وليس بها أى تناقض إلا أن الحاج يلتقى

بأرملة ثرية ورثت تجارة واسعة عن زوجها ، تقف بمفردها فى مجال الأعمال الواسعة تدير تجارتها باقتدار، يساندها إخوتها فيطمع الحاج أن يضم تجارتها إلى تجارته ويتزوجها: وهنا يبدو التناقض واضحاً فى شخصية الحاج متولى : فلم يقدم لنا المؤلف المبررات الكافية لزواجه من «نعمة» الا الطمع فى جمالها وثروتها، وهو من البداية لم يجسد لنا تلك السمات فى شخصية متولي: فكيف للإنسان المجتهد الذى يعتمد على نفسه والذى يرغب فى الاستقرار والاكتفاء ان يطمع إلى زوجة أخرى.

لم يقنعنا المؤلف وليس لنا أن نقتنع بتعدد الزوجات غير المبرر فى مجتمع يحترم المرأة ويقدس العائلة، كما أن المؤلف جعل مسألة الزواج الثانى والثالث مسألة بسيطة تمر مرور الكرام على الزوجة الأولى: ولم يصور لنا بالدرجة الكافية ذلك الجرح المؤلم والإهانة الشديدة التى تشعر بها من يتزوج زوجها عليها: جعلنا نتعاطف مع أمينة إلا أننا لم نعش آلامها ولم يجسدها لنا.

وبعد ان يتزوج الحاج من نعمة فى شقة فى نفس العمارة التى تقطنها أمينة، وتصبح نعمة وأمينة الضرتان صديقتين وهو أمر آخر غير مبرر وغير مألو ف وغير قابل للتصديق إلا من خلال المسلسل، يتزوج الحاج للمرة الثالثة من فتا ة جميلة متعلمة مثقفة تعمل فى مجال الضرائب: «مديحة» ويكون التبرير الذى يقدمه الحاج لمديحة كى تتزوجه أنها مختلفة عن زوجتيه الآخرتين، وانه انبهر بشخصيتها واستقلالها وبالطبع أحبها، والغريب أن ترضى «مديحة» الشابة الواعية المتعلمة بالزواج من متولى وتنبهر به أيضا: ربما لقدرته على الاقناع والايعاز بالحب، ولأنه أيضا واسع الثراء سيضمن لها حياة مريحة مرفهة وتتساءل مديحة: هل تتزوج شاباً لا يملك شيئاً أم تتزوج الحاج وان كانت له زوجتان وهى الضرة الثالثة.

ولا نستطيع هنا الا ان نرفض منهج المؤلف فى تبسيط زواج الشابات من رجال الأعمال أو الأثرياء لمجرد انهم أثرياء.. وهى مشكلة قد تعترض مسيرة حياة المجتمع المصرى المعاصر حينما ترى بعض الفتيات انه من غير الضرورى ان يسلكن الطريق الصعب: طريق الكفاح والسعى من البداية وانه من الممكن اختصار الطريق بالزواج من رجل ثرى يوفر كل ما تطلبه الفتاة وتطمح إليه، إلا أن الغالبية من الفتيات فى

المجتمع المصرى.. فى رأيى ـ يضعن أسس ومعايير واضحة عند الزواج: أهمها التكافؤ فى العمر والثقافة والمستوى الاجتماعى والاقتصادى، وألا يكون الزوج من هواة تعدد الزيجات.

و«مديحة» تعانى من كثرة زيجات أمها وآخرها زوج أصغر منها سناً، ونظراً لأن الحاج يستثمر أمواله ويستفيد من زوجاته فإنه ينشىء لمديحة مكتباً خاصاً للضرائب حتى تسهل تعاملاته وتقلل من نفقات ضرائبه.

ومع مسيرة زيجات الحاج: تصادفنا علاقته بابنه «سعيد» الذى يرفض ان يكمل تعليمه فى الجامعة بلا منطق سوى انه يجب ان يقف بمحل أبيه ويتعلم حرفته ويسنده فى وقفته بالسوق ويرعى ماله.. وقد قام سعيد بكل المهام التى طلبها منه والده وأكمل تعليمه فى نفس الوقت خفية ودون أن يعلم الحاج.

ومع هذا التناقض فى شخصية الحاج فإن صديقه المقرب إليه فى المحل يمدحه قائلا «ليس هناك مثيل لك يا حاج» مما يوحى بأنه شخصية متسقة ذات سمات متفق عليها يقبل عليها البشر، وهو ما شكل خطورة فى تقديم مثل هذه الشخصية فى الدراما التليفزيونية خاصة وان المؤدى للشخصية باقتدار هو الفنان نور الشريف مما يشعر الكثيرين بالرغبة فى الاقتداء به وانتهاج نفس منهجه فى الحياة مع الأخذ فى الاعتبار محور الدراما التليفزيونية فى مجتمع نامى يعانى من الأمية والعادات المعوقة للإنتاج.

وفى الجامعة يلتقى سعيد بفتاة أحلامه: التى تحترم كفاحه وتقدر انه يعمل ويتعلم فى نفس الوقت، ولا يصارحها سعيد بانه ابن الحاج فهو مجرد عامل فى محله ... والفتاة وأمها من معارف الحاج حيث كان والدها المتوفى تاجراً وكانت هناك فرصة لمتولى فى الاقتران بأرملته إلا أن الزيجة لم تتم وتظن الأرملة ان الحاج يعاود الاتصال كى تعيد التفكير فى الزواج به، أما الحاج يقع فى مصيدة الحب ويحب «حبيبة ابنه»، ويعيش حالة من حالات توهج الحب ويسعى للاقتران بحبيبته التى ترفضه فيعايش الألم والعذاب والصد، وبعد ان تعرف الحبيبة أن سعيد هو ابن الحاج متولى تظل على عهدها معه إلا أن الحاج يناشده ان يبتعد عنها عمن أحبها،

والغريب أن يطاوع سعيد أباه ويستجيب له في الزواج من ابنة «نعمة» لا لشيء إلا أنه لا يريد أن يغضب أباه حتى لو تزوج بمن سعوا إلى تزويجها اياه وان كان لا يحبها ولا يرغب في ان يواصل حياته معها وكأن سعيد الذى استطاع بإرادته أن يكمل دراسته في الجامعة لا يستطيع أن يعلن عن رغبته في الزواج بمن أحب ويسلم مقاليد أموره كلية إلى والده رغم أننا لمحنا في شخصيته الاستقلالية والاعتماد على النفس.

وتأتى المشكلة الكبرى بالزواج الرابع للحاج: من زميلة حبيبته السابقة والتى تنتهز الفرصة وتعمل على الاقتراب منه والتخفيف من آلامه ومعاناته!! فيتزوجها الحاج: هى فتاة مدللة من أسرة نفد رصيد ثرائها، ويرغب أبواها في مصدر جديد للثراء بزواجها من الحاج متولى.

وتبدأ الفتاة وأسرتها في استنزافه من خلال المجوهرات والحفلات ورغبتها في الاقتناء والشراء.

ويقع الحاج زوج الأربعة فريسة للاجهاد والسن ويتعرض لأزمة صحية خطيرة تجعله يكتشف حقيقة الزوجة الرابعة التى ترغب في أمواله فيدبر حيلة بالاتفاق مع سعيد وزوجاته الثلاث بأن الضرائب تحجز عليه وأنه لم يعد لديه شيء، فتفر الزوجة وتعود للحاج قناعته ويكتفى بزوجاته الثلاث غير الطامعات في ماله، وان كان هو طمع في حياة سعيدة يأخذ منها أكثر من مجرد الاستقرار إلى جوار زوجة واحد.

❑ ❑ ❑

مسلسل : أميرة من عابدين

عندما يتعرض الإنسان لأزمة يفقد الأرض الصلبة التى يقف عليها يتأرجح، يختل توازنه، يبحث عمن يتمسك به، يستند إليه من يأخذ بيده حتى لا يقع.. ولكن من يظل صديقاً فى الأزمة؟ ومن يبتعد وينجو بنفسه وينأى زاهياً بما لديه، متخوفاً من ذلك المحتاج ان يطمع.

هى الأزمة التى تبرهن على معدن الأصدقاء، هى الأزمة التى جسدها المثل المصرى قائلا «يا بختك يا شدة... فهى التى توضح الرؤية، تفرق بين الحبيب والعدو.

وهى الأزمة التى عايشتها السيدة أميرة:

زوجة رجل الأعمال الشهير «عبدالمنصف» الذى يشترك مع مجموعة من رجال الأعمال فى عقد صفقات مشبوهة يجنون منها المال الوفير ويضرون بمصلحة البلاد، تم اكتشاف جزء من هذه الصفقات فهرب عبدالمنصف مسرعاً خارج البلاد تاركاً زوجته وابنيها من زواجها الأول: جمال وغادة.

ونظراً لأن جمال كان يعمل مع عمه «عبدالمنصف» بعد تخرجه من الجامعة، فقد تم القبض عليه لأنه يعرف الكثير عن أعمال الشركة ومن المفترض أنه شريك لعبدالمنصف وبعد الحجز على الأموال والعقارات لم تجد أميرة مكاناً تذهب إليه هى وغادة إلا البيت الصغير الذى ورثته من زوجها الأول فى شارع البابلى بعابدين.

ومع الأزمة تتضح الرؤية كأن كل السنوات التى عاشتها أميرة فى ظل الحياة المرفهة كانت خدعة: مجموعة من الأقنعة الزاهية الزائفة تخدع البصر فإذا ما اقترب منها الإنسان وحدق جيداً اكتشف ان وراءها وجوهاً قبيحة ونفوساً ضعيفة.

تحدث أميرة نفسها: كيف ظللت طوال تلك السنوات لا أدرك حقيقة الخداع، حقيقة الزوج الذى يمكن ان يضحى بها وينجو بنفسه.

أميرة هى شخصيتنا الجوهرية التى تعود إلى جذورها بعودتها إلى الحى الذى نشأت على قيمه وأخلاقياته تدرك ان أهل «البابلى» هم الحماية والسند، فكما يقول لها أيمن ابن أختها «إنك لم تعودى فقط لأن أحوالك المالية أجبرتك على العودة وإنما لأنك أيقنت أنك هنا تحتمين بالناس وأنهم قادرون على حمايتك».

أهل البابلى هم أهل الحى الشعبى الذى يجيد أسامة أنور عكاشة التعبير عنه، هم أهل المغربلين فى الشهد والدموع، هم أهل الحلمية فى ليالى الحلمية، هم أهل الجمالية فى أرابيسك وهم سكان شارع البابلى بعابدين مع أميرة.

تلك الأحياء خرج منها معظم أبناء الطبقة المتوسطة لينطلقوا فى مجالات الحياة المختلفة، وقد يتجهون إلى السكن فى أحياء أخرى، وقد يبحثون عن مكان فى الأحياء المرتبطة بالرقى والرفاهية إلا أن جذورهم تظل هناك حيث يتساند الناس ويتكاتفون.

وتعود أميرة إلى عابدين حيث أسرة أختها وزوجها حسين الترزى وأبنائها الثلاثة:

عم حسين: لا ينسى أبدا مساندة زوج أمير الأول الشهيد رأفت السحرتى، وكيف سانده بماله واقترح عليه أن يبدأ العمل بجدية حتى افتتح ورشته الصغيرة بالحى. يدرك عم حسين ان دوره ان يحمى أميرة وأولادها لذا عندما يكتشف جمال المستندات المهمة التى تبرئه فى القضية ويخشى ان يسرقها الساعون حوله يلجأ لزوج خالته الذى يخبأها فى أحد المدافن ويخرجها للسلطات عندما يطلبها جمال.

ويظهر معدن عم حسين ايضا عندما احتاج جمال لكفالة كى يخرج من سجنه، فيدبر المبلغ ويضحى بشراء ماكينة خياطة جديدة يحتاجها حتى يعود جمال لأهله.

عم حسين به صفات الجدعنة والشهامة والحرص على الواجب وعدم التفريط فى الحق: نموذج من نماذج سمات أولاد البلد فى هذا المسلسل، وابنه أيمن نموذج آخر

من الجيل الجديد: نفس الصفات مع الرغبة فى المساعدة الدائمة، مع الحرص على الأهل. مع السعى لبناء الذات. والأمل فى الحب وبناء البيت: أزمته مع شيرويت انها من طبقة مرفهة مختلفة: بعد تخرجها من الجامعة الأمريكية افتتح لها أهلها مكتباً للتصميم مشاركة مع زميل آخر يتوقع الأهل أن يكون شريك حياتها، وكانت الأمور تسير فى طريقها المرسوم لولا أن ظهر أيمن وعمل معهما فى المكتب فتمسكت شيرويت بتلك المعانى الجميلة التى يمثلها، لكن قصة الحب تلك لم يكن لها أن تكتمل فى ظل غربة يمكن ان يعايشها أيمن مع مجتمع شيرويت.

أما عبلة ابنة الأسطى حسين الثانية التى يفخر بها دائماً والتى يعدها لمستقبل باهر والتى يعرف انها تسير فى دراستها بنجاح فى التخرج والعمل فى سلك الجامعة، تفاجىء العائلة بزواجها العرفى، وعلى الرغم من تعدد معالجة قضية الزواج العرفى فى الدراما المعاصرة ومحاولتها البحث عن أسبابها ودوافعها وانها ترجع غالباً إلى التفكك الأسرى، وابتعاد الأبناء عن الأسرة وعن القيم الأخلاقية والدينية إلا أن أسامة أنور عكاشة يعالجها من زاوية مختلفة: فعبلة لا تعانى من غربة أو تفكك أسرى أو انعدام قيمى، وما تعرضت له هو سطوة ضغط شديد من شخصية مبهرة تمثل لها الحل والأمل والمستقبل، فى لحظة ضعف انقادت لأستاذها وهى فى حالة تشبه حا لة من يغيب عن الوعى وتستغرقه أحلامه إلا أنها تفيق على حقيقة مؤكدة أن هذا الأستاذ ليس إلا إنسانا تتملكه الأنانية والزهو بنفسه وأراد ان يمتلك كل شىء فى يديه.

ويخيب أمل العائلة فى عبلة ويصور لنا المسلسل مشاعر الأب والأم فى عدة مشاهد تعكس نكبة الأهل بهذا الزواج خاصة عندما تقول الأم «لقد حرمتنى ان أفرح بها فى ثوب زفافها الأبيض»، وبعد أن تضغط الأسرة على الزوج: يتم اشهار الزواج رسمياً وبعده تطلب عبلة الطلاق فقد انهارت الصورة المثالية التى سعت للاقتران بها.

وهكذا مع قضية أميرة الرئيسية تتضافر عدة قضايا فرعية تعكس أحوال المجتمع المصرى المعاصر إلا أنه لا يغيب عن نظر المؤلف شخصيته الجوهرية فنظل معها نتابعها ونتابع أحوال ولديها:

نتابع جمال وهو يخرج من السجن ويتحول لشاهد ملك فى القضية ويتعرض لضغوط مافيا الفساد المهلكة إلا أنه بإيمانه بالحق، بجذوره القوية المتينة يتصدى لضغوطهم ويصمد، فهو امتداد الوالد الشهيد: شبيهه فى القول والشكل والفعل هو أيضا يمكن أن يستشهد وهو يحمى أهله ووطنه من خطر يماثل خطر الاعتداء الخارجى: خطر الفساد والهدم من الداخل.

يعرفنا جمال بعائلة زوجته ابنة السفير التى لا تصمد للمحن التى يواجهها زوجها وكأنها زوجة للحفلات والسهرات والرحلات واقتناء المجوهرات وليست ا لزوجة التى تؤمن ببراءة زوجها وتعرف جوهره جيدا.

وحال جمال وابنة السفير هو حال بعض الزيجات التى تبنى على أساس مادى بدون وجود جذور مشتركة من التفاهم والتآلف بين الزوجين. فاذا ما تعرض الزواج لأية عاصفة قريبة انهار.

ومع انهيار زواج جمال وانصياع زوجته لتسلط والدتها وبحثها عن الأكثر ثراء، يدرك انه بحاجةإلى انسانة تتفهمه، قلب يشاركه أحزانه وأماله ودفاعه عن نفسه قلب لا يباع لمن يدفع أكثر ، ويجد تلك الإنسانة فى «علا» جارته التى تتحمل مسئولية أسرتها بعد وفاة والدها: تخرج للعمل كفتاة إعلانات وتتعرض لضغوط البيع والشراء، وقد كان يمكن ان توافق فى ظل ظروفها الصعبة الا أنها تعودت على الصمود ومواجهة الأزمات بصلابة، يقترب منها جمال ويدرك انها هى رفيقة الحياة التى يحتاجها ويقرر أن يبدأ حياته معها، وأن يساند أسرتها ويتحمل معها مسئولية الحياة المشتركة.

أما غادة والتى هرب زوجها طارق مع قريبه «عبدالمنصف» فإنها تشعر فى البداية بحدة الاغتراب بين ما عاشت فيه وماصارت إليه، ومع رفضها لزوجها ولحياة بنيت على الخداع تحاول التأقلم على الحياة الجديدة فى شارع البابلى. وتقترب منها شخصية هى من أكثر شخصيات المسلسل قدرة على العطاء بلا حدود: د. شلبى الذى تتعلق به طفلتها شهد والذى يتعامل مع الناس والحياة بقدر كبير من البساطة والتسامح، شلبى تولى مسئولية تربية أخيه بعد وفاة والدهما، تخرج أخوه وعمل

مدرساً ولكنه لا يقنع بالحياة البسيطة التى يعيشها شلبى، يريد كل شىء بأيسر وسيلة ممكنة وأحيانا يحتدم الخلاف بينه وبين أخيه فينكر على شلبى مثالياته التى جعلت أجرة كشفه على المرضى أحياناً كوبا من الشاى، وشلبى يعرف ان حياته مع أهل شارعه لا تخضع لحسابات المال أو ماذا سيأخذ منهم وماذا سيجنى لغد. شخصية طابعها الود والتعاطف.. يشعر بالتكافل مع كل فرد فى الحى، يشعر بجميل كل شخص ساعده والده أيام أزمة مرضه الأخير، يشعر بحق الجميع عليه: شخصية متسقة جميلة: لا يكره ولا يحقد، قد يعتب ولكنه دائما يتلمس الأعذار، يحب ويحلم أن تشاركه الحبيبة مشوار الحياة: وعندما يقابل بالرفض: ينطوى ويتعذب فى صمت تقدر غادة عطاء د. شلبى وتنمو مشاعرها نحوه ببطء وتدرك انه الإنسان القادر على أن تنسج مستقبلها ومستقبل ابنتها معه.

نتعرف من خلال نفس البيت الذى تقطنه أميرة على أسرة رمسيس، والده «مينا» وأمه «حنا» وأخواته البنات: أسرة مسيحية تلتحم حياتها بحياة جميع سكان الشارع: يتشاركون فى الأفراح والأحزان.. حالهم حال مناطق عديدة فى أحيائنا المصرية حيث يتجاور المسلم والمسيحى فى البيت والمدرسة ومكان العمل، وكأن كل المصريين من خلال حياتهم اليومية يؤكدون ان الوحدة الوطنية أسلوب حياة غير قابل للنقاش وان أى محاولة حاقدة للتخلل عبر هذا الجدار المتين تقابل بالرفض والبتر.

أما محمد نديم المصور الذى يملك استديو صغير للتصوير ويسكن بالدور الأرضى كثير الخلاف مع زوجته بسبب انفاقه جزء كبير من دخله على الكيف، ويمثل نديم مشكلة بعض قطاعات الأعمال الحرة التى يرى أصحابها ان من حقهم ان يرفهوا عن أنفسهم من خلال المخدر وهم فى غفلة ان ما يلجأون إليه يقضى على حياتهم يوماً بعد يوم.

ونأتى ايضا إلى عمة الأولاد أخت الشهيد التى تتمتع بشخصية قوية وقدرة على مواجهة الحياة: تشكل سنداً ودعماً جديداً لأميرة: تشجعها على العمل ومواصلة الدراسة رغم مرور السنوات، تشجعها على بدايات جديدة لحياة تعتمد فيها على نفسها.

ومن خلال ابنها صلاح نتعرف على مشكلات الشباب المتزوج حديثاً والذى يرغب فى الاستقرار ولكنه لا يبنى حياته على الصراحة والمواجهة.. فصلاح اضطرته الظروف إلى أن يعيش مع أسرة زوجته «هناء» ولأنه يرغب فى الاستقلال بحياته يدخر ويشترى شقة صغيرة بدون ان تعلم زوجته مما يسبب شرخاً عميقاً فى العلاقة بينهما.. تحاول الأم ان تنصح ابنها لمواصلة حياته مع زوجته، كما يسعى والد «هناء» للتقريب بينهما بدون تدخل مباشر حتى يستطيع الاثنان ان يحلا مشاكلهما ويستقلا بحياتهما كما أرادا.

وفى شارع البابلى: القهوة مركز تجمع: يحرص صاحبها سعيد القنصل على أن تجمع بين القديم فى ركن الذكريات وأغانى عبدالوهاب وعبدالمطلب وثومة، وبين الحديث حيث الفيديو والدش.

والقهوة جزء من حياة الشارع المصرى: يتقابل فيها الصحاب يتحدثون، يمرحون، يتناقشون، يختلفون ويتفقون، القهوة فى أحيان كثيرة هى منتدى لإلتقاء الآراء والأفكار يلجأ إليها أصحاب العمل للراحة بعد عناء اليوم الطويل إلا أنها قد تكون أحيانا مكاناً للمتعطلين الذى لا يجدون مكاناً إلا القهوة: فنلمس مشاكلهم وإحساس الفراغ الذى يعانونه.

ومن خلال الشارع نلتقى ايضا مع كروان صاحب المطعم الذى يقف مع سكانه ويحبهم ويحزن إذا لم يستطع ان يؤدى دوره فى المساندة كما يجب.

أما ربيع السخن، فيمثل جزءاً مهماً آخر من حياة الشارع يبيع الفطائر الساخنة التى يحبها أهل الشارع وتعودوا عليها كما تعودوا على نداءاته التى تعلن قدوم صباح جديد.

يعيش ربيع وزوجته حياتهما وهما يدخران للمستقبل ابنهما «كمال» الذى يسافر ولا يعود، وتطحنه الغربة عندما يتزوج أجنبية ويقتلها دفاعاً عن الشرف ويدخل السجن يشعر ربيع الذى لا يملك إلا طاولة السخن ان أيامه ضاعت مع حلم ضاع فى الغربة ولن يأتى.

مجموعة كبيرة من النماذج المصرية الأصيلة التى تعيش وسطها أميرة فتتنفس النقاء الأصيل وتتعلم من أزمتها ما لم تتعلمه طوال حياتها: تتعلم ان فى الحياة ناس كل همهم أن يعيشوا فى سلام وان يتركهم المعتدون ليعيشوا حياتهم: فها هى فايزة البسيطة التى تكرم أميرة أثناء سجنها معها والتى يتوعدها الموتورون بعد قتلها لأخيهم وهى تدافع عن نفسها.. حلم فايزة بعد خروجها من السجن ان تضم أولادها إليها وتعيش فى سلام تلجأ لأميرة وتحتمى بها وبأهل الشارع فتجد الحماية إلا أنها ما زالت تخاف على أولادها وتتركهم بعيداً فى بلد آخر مع أختها حتى لا يتعرضون للأذى.

تتعلم أميرة أيضا انه كما للقانون مدافعين فإن به خبراء للتلاعب والثغرات، فالأستاذ وجيه محامى نزيه يبغى الحق ويسعى من أجل مصلحة جمال ووالدته: المكسب المادى عنده له سقف والقانون عنده واضح، والحق أوضح أما عباس درويش المحامى الخبير المحنك فيستغل خبرته ومعرفته الواسعة بالقانون فى اللعب على كل الأوتار وحماية مصالح مافيا الفساد دون أن يتورط، يستشيرونه ويدلهم على الأساليب القانونية السليمة وليست العادلة بالطبع.

وبمساعدة وجيه يصدر قرار الإ فراج عن أملاك أميرة ويتم إعلان براءتها من تهم عبدالمنصف، وتجتاز هى وجمال وغادة الأزمة وقد أدركوا أن مكانهم وحياتهم وموقعهم لن يبتعد أبدا عن عابدين وشارع البابلى.

❑❑❑

مسلسل : أين قلبي

بدايةً هذا المسلسل نجح فى تقديم رؤية جديدة للمرأة وخرج بصورتها من الأطر التقليدية إلى إطار أكثر اقتراباً من صورتها الحقيقية فى مجتمعنا المعاصر.

فغالبا كنا نرى الأرملة على الشاشة: سيدة ترتدى السواد، تغرق فى أحزانها، لا حول لها ولا قوة، لا تقدر على مواجهة أعبائها، تأسى لنفسها، تتمنى ـ نظراً لضعفها أن يسندها رجل لذا فهى تسعى باستمرار للحصول على زوج.

غيرت دراما أين قلبى هذه الصورة إلى صورة مشرقة جديدة: امرأة قادرة على تحمل أعبائها، تؤمن بقدراتها تعشق أسرتها، تعيش حياتها مع أبنائها بعد ان فقدت الزوج لتكون الأب والأم، لا تنظر إلى ما متع الله به زوجات غيرها.

«فاتن» مهندسة تعمل فى الإدارة المحلية بحى من الأحياء مهمتها اعطاء تراخيص البناء، ومراقبة ومتابعة مدى التزام المقاولين وأصحاب العمارات بالأسس السليمة للبناء، ملتزمة بأخلاقيات واضحة تحرص عليها إلا أنها نظراً لموقعها وعملها تتعرض للضغوط لكى تتنازل عن قيمها وأخلاقياتها من بعض ضعاف النفوس الذين يرون ان التزامهم بقواعد وتعليمات الحى سيقلل من مكاسبهم: فيعرضون على «فاتن» رشوة كبيرة فى مقابل التغاضى عن عدم التزامهم، لا تضعف فاتن رغم اغراء العرض ورغم حاجتها إلى المال لمصاريف تربية الابن والابنة وتلجأ إلى النيابة فيتم عمل كمين للراشين وهم يتفقون مع « فاتن » ويتم القاء القبض عليهم.

هذا الجانب من مراعاة الأخلاقيات والضمير حرص المؤلف مجدى صابر على تأكيده، وهو المدخل أيضا الذى دفعه إلى تصور شخصية «فاتن»، فبداية التصور جاءت من الواقع حينما قرأ المؤلف خبراً صحفياً عن مهندسة رفضت رشوة وساهمت فى القبض على الراشين.

ما هى مشكلة فاتن إذن؟ فاتن شخصية متسقة متوازنة نفسياً يبدو لنا انه ليست لديها مشاكل أو صراعات داخلية رغم افتقادها لمشاعر الحب الخالد بين الزوجين.

مشاكلها هى بعض الصعوبات العادية التى تواجهها فى تربية ابنيها: فهى تواجه مرور ابنتها بمرحلة المراهقة وتتغلب على هذه المرحلة بالثقة والصداقة، علاقتها بابنتها تمر ببعض الأزمات فمثلا الابنة تشعر بالظلم لان أحد أ قاربهم «مرشدى» أخذ أموال والدها المتوفى الذى آمنه عليها بدون ضمانات وهذا الشعور يدفعها إلى محاولة ابتزاز ابنه «سلامة» واقناعه بحبها وموافقتها على الارتباط به لكى يعيد إليهم حقهم المسلوب، ولا توافقها «فاتن» على أسلوب الخداع والزيف لإعادة الحق كما لا توافقها على أن تعتنق أسلوب ميكافيللى فى أن الغاية تبرر الوسيلة، وترى أن معايير ابنتها اختلت بعض الشىء بتأثير صديقة لها فيكون القرار بإبعادها عن تلك الصديقة.

ونظراً لأن فاتن أرملة: شابة تتمتع بشخصية وجمال واضح فإن المجتمع حولها ما زال يرى أنها ستسعى لتصيد زوج، وهو ما يجعل جارتها تشك فى موقف زوجها من « فاتن» حيث يرى أنها شخصية تفرض احترامها وتقديرها على الآخرين وان من واجب الجار أن يؤدى واجبات وحقوق طبيعية مثل السؤال عن والدها عندما يتعرض لمحنة صحية، أو أولادها عندما يتعرضون لظروف ومواقف صعبة، إلا أن الزوجة تبعد بصداقتها عن فاتن وتخشى خشية مرضية من احترامه وتقديره لها.

أما عائلة مرشدى: فهى الصورة المناقضة لعائلة فاتن حيث يغيب الترابط الأسرى، فمرشدى صاحب المصنع يسعى لارضاء أطماعه وملذاته: يتزوج عرفياً أكثر من مرة ويرغب فى أن يتزوج فاتن التى ترفضه، وعندما تعلم زوجته «خيرية» شريكته فى المال يخدعها ويوهمها ان فاتن هى التى تسعى للزواج منه، وخيرية شخصية متسلطة: سليطة اللسان، تعانى من عدم إخلاص زوجها.

تتوجه خيرية إلى منزل فاتن ولم يكن به إلا ولديها: فرح وتامر فتهينهم وتتسبب فى أزمة نفسية للابنين اللذين يشعران ويدركان براءة والدتهما، لكن التسلط والظلم يشعرهما بالاحباط الشديد.

تواجه فاتن تلك الأزمة أيضا وتواجه مرشدى وزوجته، وتعمل على الاقتراب أكثر من ابنيها وتوجه ابنها «تامر»إلى الرياضة لكى تساعده على تعدد اهتماماته وهواياته واشعاره بكيانه وذاته.

ومن خلال عائلة مرشدى: يتعرض المسلسل لمشكلة الزواج العرفى: فالأب لا يمثل قدوة لابنته التى تتستر على مغامراته وفضائحه حتى لا تعرفها أمها، والأم بجهلها وسطحيتها لا تقترب من عالم الابنة، ومع عدم وجود أسس أخلاقية متعمقة فى نفس «توحة» تتعرف على شاب وتتزوجه عرفياً وبعد اكتشاف أسرتها للأمر يتم الزواج رسمياً وتكتشف توحة أنها كانت ضحية لإنسان متسلق كل ما يهمه المال والاستحواذ على كل شىء بلا مجهود.

وينجو من انحراف عائلة مرشدى الابن الوحيد «سلامة» الذى لا يوافق على انحرافات والده ويكون هو السند الوحيد لكل أفراد الأسرة، وهو أيضا باستقلاله واعتماده على ذاته وسعيه إلى بناء كيان قوى ومستقبل واضح من تتجه إليه «فرح» ابنة فاتن بعد ادراكها لحقيقة مشاعرها نحو د. خالد.

ود. خالد أيضا مثال جيد لرجل الأعمال المثقف الواعى المدرك لأهمية دور رجال الأعمال فى الاقتصاد الوطنى، ودفع المجتمع إلى النهوض بأبنائه.

د. خالد الذى خرج من حياة زوجية فاشلة مع زوجة لا تهتم إلا بنفسها، يرغب فى أن يعوض طفلته الحرمان العاطفى، يلتقى د. خالد بفاتن التى تتجه للعمل لديه عندما تتزايد مطالب الأبناء ويكون عليها وهى المسئولة عن الأسرة ان تبحث عن مصدر دخل اضافى.

يرعى د. خالد موهبة «تامر» ويشجعه فى مجال الرياضة ويجد فيه تامر الأب البديل،أما فرح فإنها لا تدرك ما أدركه تامر وتتخيل أن د. خالد يمكن أن يحبها ويرتبط بها رغم فارق السن الكبير، وتحاول أن تشعره مشاعرها فى الوقت الذى يتجه بمشاعره نحو فاتن خاصة بعد مروره بأزمة صحية وضح خلالها حقيقة عاطفة فاتن نحوه.

وقد استطاع د. خالد ان يوضح لفرح خطأ مشاعرها كما أسهمت فاتن فى أن

تعبر ابنتها تلك الأزمة، واستطاعت وصال أيضا صديقة فاتن أن تجعل الأبنة تدرك أن د. خالد فى حياتها هو الأب وليس الحبيب.

وبهذا استطاع المسلسل ان يعبر بنا عدة مشاكل ليوضح ان الترابط الأسرى هو من أهم عوامل حماية الأبناء، وان الصداقة بين أفراد الأسرة والتفاهم والتصارح من مقومات عبور الأزمات التى تعترض طريقها.

يؤكد لنا المسلسل أيضا أهمية الصداقة ودورها فى حماية الإنسان من الوحدة والاغتراب من خلال صداقة جميلة جمعت بين «فاتن» و«وصال» زميلة فاتن فى العمل:

وصال لم تتزوج: أحبت فى حياتها إنساناً بكل مشاعرها رفضته عائلتها... فرفضت هى أن تتزوج إلا بمن يرضى عنه قلبها.. لم تهتم بالأ قاويل من حولها والتى تحذرها من تجاوزها سن الشباب: فهى ترى أنه لا معنى لحياة زوجية خاوية من التفاهم والتعاطف والتقارب.

ونظراً لموقف أمها الرافض لحبها السابق: ترفض وصال أى مشروع زواج جاهز تقدمه لها أمها، ورغم وضوح حب وصال لأمها وتعلق الأم بابنتها إلا أن العلاقة بينهما ظلت فى حالة من الجذب والشد حتى وفاة الأم.

ووصال شخصية محبة للعطاء قادرة عليه... يتدفق فى داخلها إحساس الأمومة، شخصية حالمة رقيقة ومع هذا قوية قادرة على مساندة فاتن فى معظم أزماتها.

تلتقى وصال برياض : فنان، حالم، وحيد هو الآخر يعزف على البيانو ليلا وفى النهار هو طبيب حكومى فى إحدى مستشفيات الأطفال.

تقف الامكانيات عائقاً أمام تحقيق العديد من أحلامه، أحب وصال مثلما أحبته لكنه يشعر أنه حب فى الوقت الضائع كيف لهما ان يجتمعا.. وتأخذ وصال على عاتقها أن تذلل له كل الصعوبات دون أن يعرف: ولأنه شخصية تعتز بذاتها، وكرامتها لا يقبل لرجولته أن تغدق عليه وصال من أموالها ويكون الخلاف:

فوصال ترى أن من واجبها ان تضحى بأموالها من أجل من تحب، ورياض يرى

أنه لا يستطيع ان يكون زوجاً بالمعنى الكامل وان يتولى مسئولية بيته إلا بماله دون الاعتماد على أموال زوجته.

يهرب رياض من صراعاته بعيداً لكى يحقق نجاحاً بحصوله على الدكتوراه، ويعود لكى يلتقى مع وصال فى منتصف الطريق: فلا شىء يمكن أن يعوض حباً لا حدود له انتظراه طويلا.

وهنا أيضا يؤكد المسلسل أن تأخر زواج الفتاة أمر وارد ولا ينبغى أن نضعها فى سجن لا تغادره لأنها لم تتزوج، ولا ينبغى ان نصنفها فى قائمة المذنبين لأنها لم تجد من يخفق له قلبها بود وصدق.

قدم لنا المسلسل أيضا شخصية «نادية» أخت فاتن التى تزوجت على أساس مادى وكان كل ما يهمها هو ان تحيا حياة مرفهة ثرية. وأنستها حياتها معنى التعاطف مع أختها والتقارب مع أفراد عائلتها، واجبها نحو والدها وعندما تعرض زوجها لأزمة مالية خطيرة وفقد أمواله بدأت تضيق إلى نفسها لتدرك ان الحب والود بين الزوجين هو أهم ما يمكن ان يدخراه لمستقبلهما معاً ونستجيب لنصيحة والدها وتقدم مجوهراتها وكل ما تبقى لديها من مال إلى زوجها ليبدأ حياته من جديد.

وقد أعادنا أين قلبى إلى الجذور إلى دور الأب فى حياة أبنائه، وامتداد عطائه إلى الأحفاد فيتعلمون منه ويستفيدون من خبراته وتجاربه، وقد كانت فاتن مثالا للابنة الوفية المقدرة لعطاء والدها: تستشيره تلجأ إليه، تستمتع إلى نصائحه فى تربية الأبناء وتحتمى بآرائه وقيمه التى وعتها منذ الصغر.